جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الميدان: لغة وأدب عربي
الفرع: دراسات أدبية
التخصص: أدب حديث ومعاصر
رقم تسلسل المذكرة:.....

إعداد الطالبتين:
مزية بن دحمان / إكرام برغيس
يوم: 2024/06/10

التوثيق السردي وتجذرات الوعي في رواية من يستأجر لي وطنا؟ للطاهر مرابعي

لجنة المناقشة

نوال آقطي	أ.د	الجامعة: محمد خيضر بسكرة	**رئيسا**
غنية بوضياف	أ.د	الجامعة: محمد خيضر بسكرة	**مقررا ومناقشا**
سارة خروب	أ.مس.ب	الجامعة: محمد خيضر بسكرة	**مناقشا**

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شـكر وعـرفـان

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل العلم لنخرج من وحشة الظلمات إلى النور.

هذه الكلمات موجَّهة لكل من أسهم في إنجاز هذا البحث العلمي،

واطَّلع عليه وقرأ محتواه.

أولا نتقدم بالشكر والودإلى أستاذتنا المُشرِفة

الأستاذ الدكتور "**غنية بوضياف**"،

التي لم تبخل علينا بالنصيحةوالمعلوماتوالمساندة. حتى أصبح هذا الثناء قاصرا أمام صبرها اللامحدود، والذي جعل منها منارة للمعرفة والتعليم.

كما نوجه وافر الامتنان والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين، على قبولهم مدارسة هذه المذكرة،ونثمّنلهم جهدهم المبذول في تقييمها، بما يُسهم في جودة هذا العمل ويزيدهثراء.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

مقدمـــــــة

في مجرّة الأدب ظفرت الرواية بالقسط الأكبر من الدراسات الأدبية والثقافية، باعتبارها مفتاح الولوج لآفاق غير محدودة، فهي تنقل وقائع متداخلة، وشخصيات متعددة، تبرز من خلالها تطلعات الروائي المغايرة للحياة، والمتقاطعة مع خياله. وبذلك يُعد التوثيق السردي والوعي وسيلتان أساسيتان لبناء عالم يحاكي الحقيقة بنسبة كبيرة تضمن تفاعل القارئ وتأثره به. ويعنى هذا المشروع الثقافي في الفكر الأدبي بتسجيل الأحداث والوقائع، وتدوينها بأسلوب سردي متوال ومرتب، فيساعد بشكل كبير وملحوظ في بلورة الوعي الجمعي المتحكم في عدة جوانب تخص الأشخاص سواء النفسية، أو الاجتماعية...، لتروى هذه التجارب التي خاضوها وتحكى من عهد إلى آخر.

تكتسي مسألة "التوثيق السردي وتجذرات الوعي" أهمّية كبرى في ميدان العلوم الإنسانية وبخاصة في مجال الأدب، الذي يتيح لها فرصة المشاركة في تعزيز الإبداع الأدبي، فهي تعين الباحث وتمكنه من إدراك الهوية الفردية وفهم قضايا المجتمع بهدف توعيته وتثقيفه، وهذا يسمح لها بالانصهار في عوالم الحكاية السردية المطولة، فيسهل عليها إعادة صياغة الهيكلة السردية للرواية لتصبح أكثر تأثيرا من ذي قبل بفضل توفيقها بين جدليتين أساسيتين؛ "التوثيق السردي" و"تجذرات الوعي"، فيصدر عنذلك نص قوي الخطاب يسهم في التواصل بين الكاتب وقرائه.

في ضوء المكانة التي نالها موضوع التوثيق السردي والوعي ضمن الإبداع الأدبي المعاصر، وقع اختيارنا عليه كقضية لبحثنا الموسوم بـ: "التوثيق السردي وتجذرات الوعي في رواية من يستأجر لي وطنا؟ للطاهر مرابعي". يدفعنا في ذلك رغبةذاتية وأخرى موضوعية: فلقد أثار انتباهنا ذلك الخطاب الروائي بسبب الصراع المحتدم بين الأنا والغير تحت غطاء الوعي واللاوعي، واجتاحنا الفضول

بغية معرفة حيثيات هذه الدراسة والإلمام بوقائعها المدرجة داخل سياق الأبحاث الحديثة والمعاصرة، وكذا انعكاساتها على البنية الاجتماعية ومختلف أنماطها، بينما الأسباب الأخرى تتبدى في رغبة الاشتغال على الأمور المتعلقة بالجانب النفسي، والاجتماعي للمجتمع.

اعتمادا على ما سبق، تم طرح الإشكالية الآتية: في أي صورة تجلت مظاهر التوثيق السردي وتجذرات الوعي في رواية من يستأجر لي وطنا؟ وتتفرع عنها عدة تساؤلات تتمثل في: ما التوثيق السردي وكيف ساهم في بعث الحياة في الأحداث؟ وفيم تتمثل ملامح تجذرات الوعي ضمن التجربة الإنسانية؟ وما الوشائج المضمرة التي تجمع بين الوعي واللاوعي؟ وكيف تبدى ذلك في النص الروائي؟

كان الغرض الأسمى من البحث إبراز ملامح التوثيق السردي ودوره في بلورة الأحداث داخل الرواية، بالإضافة إلى تبيان كيف تجسد الوعي في هذه التجربة كما سعينا من خلاله إلى أن نبيّن كيف تمكنت هذه الفلسفة الجدلية من التفاعل مع الأدب بصفة عامة والشخصيات التي تتداول الأدوار بين الأنا والغير.

واقتضت طبيعة هذا المحتوى البحثي اتباع المنهج البنيوي، مع الاستعانة بعدة مناهج أخرى، نذكر منها التفكيكي والنفسي، معزّزةً بآليات الوصف والتحليل والاستقراء، لأنّها – في اعتقادنا – الأنسبلهذه الدراسة.

أما بخصوص الخطة التي اعتمدناها فاحتوت على فصلين نظريين تطبيقيين في الآن ذاته، يتصدرهما مقدمة ومدخل تطرقنا فيه إلى الوعاء المصطلحيّ للدراسة عند الغرب والعرب، جاء موسوما بـ: تأصيل المفاهيم، وفي الفصل الأول المعنون بـــ: التوثيق السردي في رواية "من يستأجر لي وطنا؟" للطاهر مرابعي، اشتغلنا من زاويتين؛ إحداهما مفاهيمية والأخرى إجرائية، فكان لابد من تحليل

العنوان، بالإضافة إلى مركزية الحدث والأناوات الفاعلة، والمتضمنة في طياتها التأزمات والتراجعات المرتبطة بالأحداث، أما الجزء الثاني فاختص بالأنا من الناحية الطوعية والقسرية. كما عكفنا على استقصاء تشكلات الزمكان في الذاكرة المنشطرة بداية مع المفارقات وإيقاع الزمن، وتثنيةً بالمكان بين الحرية والقيد، وتثليثاً بالزمكان بين التذكر والنسيان. بينما الفصل الثاني جاء بعنوان: تجذرات الوعي في رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، بدأناه بالبحث في تشكلات الوعي وتمويهات اللاوعي التي نمحص من خلالها الأنا والغير بين الوعي واللاوعي والعلاقة بينهما، ومن ثم ارتأينا الاطلاع على اتصال الوعي بالألم بمحطتيه المضمرة والظاهرة، وصولا إلى ثالث نقطة وهي التي تقوم على فهم سلطة الذات المنكسرة من خلال العنف اللغوي، والازدواجية اللغوية، وفي الأخير منحنا مساحة لتناغم الوعي بالموت المجازي عملنا فيه على الوعي السياسي كفكرة أولية، يليها الوعي الاجتماعي، ثم الوعي الديني. وتم تذييل كل هذا بخاتمة اشتملت على نتائج ما طُرح في المتن.

وقد استندنا في إعداد مذكرتنا على عدة مصادر ومراجع نذكر منها:

- رواية من يستأجر لي وطنا؟ كمصدر أساسي في العمل.
- المدخل إلى دراسة الوثائق العربية: لمحمود عباس حمودة.
- العنونة في الخطاب الشعري: لأحمد مداس.
- التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية: لعادل العناز.
- البؤرة الحدثية والأنوات الفاعلة في رواية "ذاكرة معتقلة" لبلال لونيس: لسليم سعدلي، وخيرة نعيجي.
- تشكلات الزمكان في رواية "ذاكرة معتقلة" لبلال لونيس: لسليم سعدلي.

وكغيرنا من الباحثين واجهتنا عدة صعوبات من بينها:

-قلة الدراسات المماثلة لهذا البحث المتعلق برواية من يستأجر لي وطنا؟ للطاهر مرابعي، إلا أننا استطعنا بفضل من الله تجاوز هذه العقبة ليخرج بحثنا على هذه الشاكلة.

وننوّه في الأخير بجهود الأستاذة المشرفة "غنية بوضياف" التي تجشمت عناء المتابعة والتنقيح والتهذيب، فلها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى، ونحمد الله الذي أعاننا فيسر لنا كل عسير، وغرس في نفوسنا الصبر.

مدخل: تأصيل المفاهيم

أولا: التوثيق

1. عند الغرب
2. عند العرب

ثانيا: الوعي واللاوعي

1. الوعي:
   1.1 عند الغرب
   2.1 عند العرب
2. اللاوعي:
   1.2 عند الغرب
   2.2 عند الغرب

ثالثا: التخييل

1. عند الغرب
2. عند العرب

يعد السرد الأدبي علما قائما بذاته، ونموذجا أساسيا للتعبير الأدبي، المتضمن لسرد الأحداث بطريقة تثير الانتباه والتدبر، وكغيره من الألوان الأدبية الأخرى فهو يشمل العناصر الأساسية للرواية (الشخصية، الحدث...)، كما يحتمل أن يتضافر مع مقومات أخرى مثل الرموز، والحوار، والإيقاع، والتشويق، والأسلوب اللغوي المميز. وهو لا يقتصر على الأدب فقط، بل نجده يتداخل مع علوم أخرى، فهو مفيد في فهم الظواهر وتوثيق الأحداث وتفسير القضايا.

من هذا المنطلق نحاول البحث في عوالم السارد وكيفية كتابة روايته ومدى تلاقحها مع علم التاريخ والاجتماع وعلم النفس في فهم الحالات النفسية للشخوص والسلوكات والعواطف ضمن ما يعرف بالوعي واللاوعي كحالة نفسية فلسفية، وهو الأمر الذي حاول الطاهر مرابعي من خلال روايته (من يستأجر لي وطنا؟) الاشتغال عليه قصد شد القارئ وجذبه للغوص في كل خبايا النص الجمالية وخفايا النفس الانفعالية المتأزمة. لذا نسعى من خلال البحث إلى الوقوف عند محطات عدة في هذا النص الروائي مثل محطة التوثيق السردي والوعي واللاوعي.

أولا: التوثيق:

بعد التطور الهائل الذي شهده النتاج الأدبي، أصبحنا في حاجة ماسة لترتيب وتصنيف هذا النتاج، من خلال التوثيق الذي عرفناه في الحضارات السابقة والدراسات والأبحاث المقدمة، إذ ارتبط التوثيق في بدايته بالحضارات الأولى، واستخدم الإنسان طرقًا مختلفة باختلاف الأدوات المتاحة آنذاك.[1] لكن مع الازدهار الذي شهده العالم عامة والدراسات والأبحاث خاصة، توسع مصطلح التوثيق وأصبح علمًا قائمًا بذاته يطلق عليه "علم التوثيق".

[1] أنور عبد القادر عبد العزيز الرشيد: "التوثيق: المنهجيات والنظام في علم تحليل الوثائق"، منتديات اليسير للمكتبات وتقنية المعلوماتhttps: //www.alyaseer.net، 1فيفري 2024، 13: 45.

ونظرا لأهمية هذا المصطلح واهتمام النقاد به، نجد أن مفاهيمه الاصطلاحية تعددت تبعا لاختلاف الرؤى، سواء عند النقاد الغرب أو العرب.

1. عند الغرب:

مصطلح التوثيق: " جاء في الأصل من كلمة وثيقة... فإنَّ كلمة وثيقة قد استخدمت مؤخرا للدلالة على شيء مادي يحتوي على المعلومات الثابتة ومن هنا جاءت المصطلحات (التوثيق العلمي والتوثيق الفني)، وفي عام 1905 استخدم بول أوتليت كلمة توثيق في المحاضرة التي ألقاها في المؤتمر الاقتصادي العالمي بمعنى تجميع وتجهيز واختزان وإعارة الوثائق"[1].

وفي عام 1920نجد المعهد الهولندي للتوثيق والتسجيل استخدم كلمة التوثيق بمعنى المشابهة، كما حدد هايمان التوثيق بأنّه: "تجميع وتنظيم وبث كل أنواع البيانات"[2].

أما براد فورد فمفهوم التوثيق لديه لا يختلف كثيرا عن مفهوم هايمان، بقوله: "التوثيق يقوم بتجميع وتصنيف جميع مسجلات المعلومات الحديثة، وذلك لغرض تسهيل استخدامها بواسطة المستفيدين والباحثين في شتى فروع المعرفة"[3].

أما من وجهة نظر مورتيمر تاوبي فالتوثيق: "يشمل كافة الأنشطة المعقدة والمطلوبة في توصيل المعلومات المتخصصة، وهذه الأنشطة المعقدة تعدُّ عنصرًا هامًا...تشتمل على إعداد وإنتاج وجمع وتحليل وتنظيم وتوزيع الوثائق"[4].

---

[1] محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1998م، ص30.

[2] المرجع نفسه: ص نفسها.

[3] وفاء أحمد سعيد البياتي: "أهمية التوثيق في المحافظة على الموروث البغدادي"، مجلة التراث العلمي العربي، ع2، جامعة بغداد، العراق، 2013م، ص 304.

[4] وفاء أحمد سعيد البياتي: "أهمية التوثيق في المحافظة على الموروث البغدادي"، ص 304.

ومن خلال هذه التعاريف المختلفة باختلاف وجهات النظر، نستنتج أن التوثيق بصفة عامة هو عملية ترتيب وتصنيف وتجميع البيانات والحقائق والمعلومات، وتقديمها وعرضها للباحثين بسهولة دون تعقيد، ولولاه لأصبحت البيانات معقدة، ولكن بفضله صارت اليوم في متناول الباحثين في شتى المجالات والمعارف.

2. عند العرب:

تبلور التوثيق في الفكر العربي خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين وذلك عند احتكاكهم بالغرب، ونتيجة هذا الاتصال فتحت آفاق جديدة أمام الفكر العربي، إذ بدأت البواكير الأولى لاستعماله في المكتبات وفنونها حوالي منتصف القرن العشرين، حيث نجد بعض البلدان العربية مثل تونس تفضل استعمال وثاقة (بصيغة المهنة)، وفي بعض المؤسسات (بصيغة الجمع)[1]. وعلى الرغم من هذا الاحتكاك بينهما إلا أنَّنَا نجد اختلافات في الإرهاصات الأولى لاستعمال هذا المصطلح.

فكلمة توثيق في اللغة العربية حملت كثيرًا من المعاني والدلالات الاصطلاحية المتنوعة، ولعلَّ أقدمها هي التي ارتبطت بنشأة وتطور علوم الحديث، من خلال اهتمام علمائه بذلك، خاصة في قطاع الرواية، إذ يعدُّ التوثيق لديهم من القضايا الكبرى التي تتطلب الدقة في سيرة الرواة والتأكد من أهليتهم لرواية الحديث[2].

وأُخذت كلمة التوثيق العربية من الدلالة الاصطلاحية المقابلة لكلمة Documentationالغربية، المرتبطة بالمكتباتLibrarianshipوبعلوم المكتبات Library

[1] ينظر: سعد محمد الهجرسي، سيد حسب الله: المكتبات والمعلومات والتوثيق (أسس علمية حديثة ومدخل منهجي عربي)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1998م، ص216/215.

[2] ينظر: المرجع نفسه: ص215.

sciences. ومعنى ذلك أن الدلالة المتفق عليها لكلمة توثيق مثلها مثل كلمة المكتبات، تقوم بصفة: الاقتناء، التنظيم، الخدمة[1].

إذ يعرف عبد الله أنيس الطباع التوثيق بقوله: "إنَّه مجموعة العمليات المترابطة والمتناسقة لتوصيل المعلومات والمعرفة إلى الطبقة التي تحتاج إلى المعرفة المتخصصة، تسهيلًا للبحث وإثراء للفكر..."[2].

كما تعني كلمة التوثيق في بعض تعريفاتها: "ذلك العلم الذي يهتم بتجميع المواد أو الوثائق المدونة، وتخزينها وتنظيمها بشكل علمي ومدروس، مبوب، من أجل الرجوع إليها والاستفادة منها في المجالات المعرفية"[3].

وهناك من يعرفه بأنَّه: " فن تسهيل استخدام المعلومات المتخصصة للدولة، وذلك عن طريق تقويمها ونسخها ونشرها وجمعها وتخزينها وتحليلها التحليل الموضوعي وتنظيمها واسترجاعها"[4].

وتماشيا مع ما تم ذكره سابقا حول المفاهيم الاصطلاحية للتوثيق عند العرب، نستخلص أنَّه عملية متناسقة ودقيقة لجمع وتخزين وحفظ النتاج الأدبي والمعلومات بطريقة علمية محكمة، كما يهدف إلى حمايتها من السرقة والبعثرة، وبذلك يستطيع الإنسان الرجوع إليها في أي وقت للاستفادة منها في مختلف المجالات المعرفية.

وقد قمنا في هذه الدراسة بالجمع بين مصطلحين متباعدين دلاليا **_التوثيق والرواية_**حيث يجمعهما سقف واحد، هو أن الروائي حاول أن يجسد أفكاره وأحاسيسه

---

[1] ينظر: سعد محمد الهجرسي، سيد حسب الله: المكتبات والمعلومات والتوثيق (أسس علمية حديثة ومدخل منهجي عربي)، ص218.

[2] نصر محمد عباس: التوثيق الإعلامي، أكاديمية الدراسات العالمية، الأزهر، مصر، ط1، 2004 م، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص 8.

[4] المرجع نفسه، ص11.

ومشاعره ورؤيته للحياة، وإبصاره لصراع الذات والأنوات من خلال نظرة كتابية سردية، كما حاول أن يوثق لنا كل ذلك من منظور كتابي يحمل في طياته أنموذجًا عن الوضع السياسي والاجتماعي والديني في الجزائر، ويعالج لنا موضوعات الغربة والهوية والوطن، باعتبارها أهم التصورات التي أراد الطاهر مرابعي توثيقها في روايته المعنونة بـ من يستأجر لي وطنا؟ من خلال الشخصية البطل _زهير_.

ثانيا: الوعي واللاوعي:

1.الوعي:

صار الوعي في الآونة الأخيرة موضوعا أساسيا ومهما، فهو من أعقد المسائل التي تواجه السيكولوجيين، والفلاسفة، والبيولوجيين، والنورولوجيين، بسبب تعقيدات الذات وغموضها، ليختلف بذلك الباحثون في تحديد مفهوم مضبوط يفسره بدقة[1].ولم يقتصر على هذه المجالات فقط، بل طال الأدبَفنشأ ما يعرف بتيار الوعي، الذي عُد نهضة أدبية حديثة ثارت على السرد الكلاسيكي معتمدا الشكل الانسيابي الذهني[2]. لذا سنحاول التعرف على معاني هذا المصطلح في الدراسات الغربية والعربية.

[1] ينظر: علي بن صالح الشايع، وليد أحمد المصري: "مفهوم الوعي الذاتي من الطفولة إلى الشباب من منظور الفلسفة وعلم النفس النمائي _دراسة تحليلية وصفية_"، مجلة البحوث والدراسات، ع12، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2011م، ص267.

[2] ينظر: سليمة خليل: "تيار الوعي، إرهاصات الأولى للرواية الجديدة"، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، ع33، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، مارس2013م، ص66.

1.1. عند الغرب:

تعرفه فيرجينيا وولف بأنه: "تسلسل الأفكار العفوي وهو أسلوب بالشيء يذكر"[1].

كما يرى همفري فيري بأن: "كلمة الوعي تدل على منطقة الانتباه الذهني، والمبتدئة من منطقة ما قبل الوعي بمستويات الذهن حتى تبلغ الذروة فتشمل الذهن وهو مستوى التفكير الذهني والاتصال بالآخرين"[2].

أما لودج فيرى أن: "تيار الوعي عبارة أسسها ويليام جيمس عالم النفس الأمريكي وشقيق الروائي هنري جيمس بغية التمييز بين الانسياب المتواصل للفكر والإحساس في العقل البشري، ومن ثم استُعيرت من طرف نقاد الأدب"[3].

وبالتالي فإنّ مفهومه يتغير حسب السياق المعبر عنه والمستعمل لأجله، إلا أنه يصب في تغلغل الفهم داخل العقل البشري وتوغله فيه، لتتضح بذلك علاقته بالوعي واللاوعي نتيجة الاتصال بين الآخرين، بالإضافة إلى ذلك فهو يعكس تجربة الوعي الباطني لدى الناس، ويعبر عن تسلسل الأفكار وجريانها بصورة طوعية انسيابية.

2.1. عند العرب:

تعد فكرة الوعي دخيلة على العالم العربي وأدبه بتأثير من الغرب، محاولين النسج على طريقة الروايات الغربية موظفين التقنيات السردية، لتتجلى هذه الاستجابة في إطار منح المؤلف الحرية الكبيرة والمطلقة في عملية الرد[4]. وعليه فالوعي من العلوم التي استمدها العرب من الغرب، فنجده عند نادية بنداري بمعنى: "نشاط شعوري يصدر عن الفرد نتيجة رد

---

[1] فيرجينيا وولف: القارئ العادي (مقالات في النقد الأدبي)، تر: عقيلة رمضان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1981م، ص04.

[2] ينظر: روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2000م، ص23/21.

[3] ينظر: ديفيد لودج: الفن الروائي، تر: ماهر البطبوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002م، ص50.

[4] ينظر: سليمة خليل، "تيار الوعي ارهاصات الأولى للرواية الجديدة"، ص77.

فعل ما، وغالبا ما يكون هذا النشاط الوجداني مشبعا بالجوانب المعرفية، ليس في مستوى التذكر ولكن عند مستوى الإدراك"[1].ومن المنظور الإسلامي يتبين لنا بأنّه: "معرفة المرء بوجوده وإدراكه لأفكاره ومشاعره، وحين تتسع دائرة وعي الإنسان يصبح مدركاً لمحيطه، وزمانه، وما فيه من مصادر السرور وبواعث الحزن والاكتئاب، كما يصبح مدركا للفرص والتحديات والإمكانات المتوفرة في ذلك المحيط؛ ومن المهم أن نلاحظ أن وعي الإنسان بكل ذلك يظل منقوصا ونسبيا؛ وقابلا للجدل والمراجعة..."[2].

في حين نجد أمل عطوة ترى بأنَّه: " مجموع المعارف والأفكار الخاصة بالفرد، والتي تنصب على معرفته لذاته وللبيئة المحيطة به، وهو محصلة تفاعل الإنسان مع بيئته، وتأثيره فيها وتأثره بها، مما ينعكس على أفكاره وإدراكه للعالم المحيط به"[3].

ومن المعطيات الآنفة يتسنى لنا تحديد معنى يخدم مصطلح الوعي عند العرب وهي وجهات نظر مختلفة حول مفهومه، إذ يعتبر جزءا أساسيا من عملية التنمية الشخصية والنضوج العاطفي والعقلي، كما يقتضي التعرف على الذات وما يحيط بها، بإدراك ما تتأثر به وما يؤثر فيها، وباختصار فالوعي يتمثل في عملية تجديدية وتحديثية دائمة تتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية، وهو الأصل في النمو الذاتي وتطوره.

2. اللاوعي:

يعد من الأصول الفلسفية التي أسسها سيغموند فرويد ودعاها بنظرية التحليل النفسي، إذ يمثل عنصرًا هامًا من الشخصية الإنسانية، حيث شبّهَهُ فرويد بجزء من جبل الثلج الخفي والمنغمس في أعماق البحر، ويعتبر أكثر خطورة من الجزء الذي يطفو على السطح والأهم

---

[1] مصطفى شربال، الطاهر بلعيور: "الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع"، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، ع3، جامعةعبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، جوان 2018 م، ص 101.

[2] عبد الكريم بكار: "تحرير الوعي"، الإسلام ويب https: //www.islamweb.net، 18: 09، 10جانفي 2024.

[3] مصطفى شربال، الطاهر بلعيور: "الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع"، ص 101.

لأنّه يظل متخفيا[1]. كما يُصطلح عليه العقل الباطن واللاشعور أيضا، بحيث نجد أنّ اللاوعي له عدة دلالات اصطلاحية مختلفة، فكل فيلسوف ينظر له من منظوره الخاص وتتجلى هذه الإشارات فيما يلي:

1.2. عند الغرب:

يعرف فرويد اللاوعي بأنَّه: "الفرضية الأساسية التي تقوم عليها نظرية التحليل النفسي، وينقسم بدوره إلى ثلاث قوى هي الهو Lca ويمثله الجانب البيولوجي، الأنا le moiويمثله الجانب السيكولوجي أو الشعوري، الأنا الأعلى le sur moi ويمثله الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي"[2].

كما يمكن تعريفه بأنَّه: "المفهوم المؤسس للتحليل النفسي... وهو يدرس الديناميكية اللاواعية المرتبطة بالرغبة وبالكبت، ويحل رموز اللاوعي في الانتاجات النفسية"[3].

ويرى يونغ بأنّ اللاشعور مظهر مهم من مظاهر الفن، وبرأيه هذا يوافق أستاذه فرويد، حيث نجده يصف اللاشعور بأنه " مظهر من مظاهر الفن، ويسميه اللاشعور الفردي أو الشخصي أو الخافية الخاصة ويضيف إليه نوعا آخر يسميه اللاشعور الجمعي أو الخافية العامة"[4].

استنادا إلى ما سبق فإنَّ اللاوعي هو الجانب الخفي والمجهول في الإنسان، وهو أساس الحياة الإنسانية، وجزء مهم من شخصيته، لأنَّه يكشف لنا عن ملكات العقل، ومن

---

[1] ينظر: إليزابيث رودينسكو: اللاوعي (سلسلة الأفكار الكبرى للشباب)، تر: نولة درويش، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1438هـ/2017م، ص11.

[2] زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي: سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998م، ص10.

[3] رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1417هـ/ماي1997م، ص 54.

[4] زين الدين المختاري: المدخل إلى النظرية النقد النفسي: سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، ص 14.

خلاله يتم فهم الطبيعة، ويُعتبر اللاإدراك هو المؤسس للتحليل النفسي، بحيث نجده يدرس الحركات والأفعال اللاإرادية التي تكشف لنا عن الرغبات المكبوتة ويجسدها في منطقة الشعور، وبالتالي فاللاوعي هو مركز نشوء الوعي.

2.2. عند العرب:

اللاوعي أو العقل الباطن عند المفكرين والفلاسفة العرب محله القلب الباطن الموجود على مستوى الروح التي تأخذ طابع النفس عند اقترانها بالجسد، وهو عالم غير معلوم بالنسبة لنا، إذ يعتبر اللاوعي كل ما هو موجود في عالم الغيب.

والعقل الباطن _اللاوعي_ مصطلح أول ما نشأ في فروع الطب النفسي، حيث جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنّه: " جزء من الدماغ، إذ يحتوي على عناصر التكوين العقلي أو النفسيالتي لا تربط بإدراك الوعي، لكنها غالبا ما تؤثر في التفكير الواعي، ويمكن أن نسميه اللاوعي أو اللاشعور "[1].

وجاء في الموسوعة العربية العالمية مصطلح (اللاوعي) بمعنى العقل الباطن؛ فاللاوعي: "مصطلح في علم النفس لوصف العمليات العقلية والأفكار والتصورات والمشاعر التي تدور في عقول الناس دون إدراك منهم".[2]

ويعرفه علي الوردي: "بأنه جميع الفعاليات النفسية التي تؤثر في سلوك الانسان وهو لا يشعر بها"[3]. أما عبد الفتاح سلامة فيرى أنّ العقل الباطن هو: "العقل غير الواعي الذي يحتوي على قوى عقلية وأفكار مستترة ليست ظاهرة للجزء المجاور له المسمى بالعقل

[1] حماد عبد الجليل حسن: " قوانين العقل الباطن وأثرها في نشر الإلحاد في بلاد المسلمين"، مجلة أوراق علمية، ع247، مركز سلف للبحوث والدراسات، السعودية، (د، ت)، (د.ص).

[2] المرجع نفسه، (د.ص).

[3] رمضان عمومن، خديجة عماش: "اللاشعور والأحلام عند علي الوردي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية"، ع 18، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2016م، ص147/ 148.

الظاهر، والفكرة المستترة فيه...، يرسلها إلى العقل الظاهر لتحويلها من مجرد فكرة إلى حركة أو عمل"[1].

وخلاصة القول إنّ اللاوعي عند العرب هو العقل الباطن الخفي المستتر، وهو مستودع للأفعال والرغبات المكبوتة التي تتحول بفضل العقل الظاهر من فكرة إلى حركة أو عمل وقد نجدها تؤثر على الوعي، إذ يعتبر العقل الباطن جوهرًا روحانيًا محله جوف القلب، ومن زاوية أخرى فهو عملية عقلية تحدث في الجانب المجاور للعقل الظاهر، كالأفكار والأفعال، والذكريات والأشياء.

ثالثا: التخييل:

يعد التخييل اللبنةالأساسة للنص الروائيوأنواعه الأخرى خاصة في مجالي الفلسفة والأدب، فهو يؤدي دورا محوريا في ذلك بسبب مكانته التي أهلته لفهم الواقع وتأسيس فكر ثقافي، كما نجده يقحم في الرواية من طرف المبدع مراعيا كيفية خلق شخصيات، وتقسيم أحداثها، وتوزيع أزمنتها وفضاءاتها، ليجعل منها نصا مولدا لسلسلة من الآثار الجمالية، تؤثر على القارئ وتدفعه للتفكير في ماورائيات ذلك[2]، وبالتالي يتمكن من استكشاف ومعرفة كل التصورات والتخيلات التي يتعذر نقلها بصورة مباشرة من طرف الكاتب. وهو ما جعلنا نسعى لتقصي مفهوم هذا المصطلح عند الغرب والعرب على السواء.

1.عند الغرب:

كان ريتشارد أهومان، وباربرا هيرن شتاين سميث، وماري لويس برات من أوائل النقاد الذين استخدموا نظرية أوستن من أجل تعريف جديد للتخييل في الأدب. كما تجادل سميث:

[1] زينب أبو يعقوب: العقل الباطن بمنظور الإسلام، موضوعhttps: //mawdoo3.com، 9: 48، 12 مارس 2024 م.

[2] ينظر: عبدالغني بن الشيخ: التخييل الروائي وخدع التمويه السردي، مجلة الآداب، ع10، جامعة الإخوة منتوري, قسنطينة, الجزائر, 13 جوان2009, ص151/152.

"التخيلية الجوهرية في الروايات... لا تكتشف في لا واقعية الشخصيات والأشياء والحوادث الملمح إليها، ولكن في لا واقعية الملمحاتنفسها"[1].

ولعل أبرز الدارسين لهذه النظرية عند الغرب هو كولردج وزميله زروف اللذان عرفاها كالآتي: فحسب رؤية الأول هناك نوعان من الخيال. أولي: وهو بمثابة القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني، بينما الثانوي: فهو صدى للخيال السابق. إضافة إلى ذلك، فالخيال يستطيع أن يعثر على كل صور الأفكار في الطبيعة، فهو يحاكيها في عمله، ولكنه ينظم هذه الصور في وحدة متكاملة تفوق الخارجي، إذ يتضح ذلك في الآتي: "فيما في الطبيعة من أشياء، يتمثل في مرآة كل عناصر الفكر الممكنة، وكل خطواته وطرقه السابقة على الوعي، ومن ثم فهي سابقة على النمو الكامل للعقل، وما العقل إلا البؤرة الحق التي تلتقي فيها الأشعة الذهنية المتفرقة بنورها خلال صور الطبيعة"[2].

أما وورد زروف فنجده يصطلح عليه بأنه: "القدرة الكيماوية التي تمزج –معا– العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف كي تصير مجموعا متآلفا منسجما، وهو يرى أن الخيال لا يدرك إلا عن طريق الشعور، فإذا قوي العقل لا يستطيع أن تضعف أو تنقص من الخيال شيئا، وعلى هذا يكون الخيال ذا مكانة تفوق قوى العقل الأخرى على شرط أن تكون الصور التي ينتجها منسقة، متآزرة، تتآلف على تصوير الحقيقة"[3].

إلا أنّ الدارس لهذا المفهوم عند الغرب يتضح له أنهم لم يقفوا عند مفهوم واحد ينهي التضارب فيما بينهم حول ذلك بسبب انتماءاتهم ومرجعياتهم المختلفة، لذلك راح كل منهم

---

[1] والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، (د.ط)، 1998م، ص242.

[2] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، 1997م، ص391/390.

[3] محمد صايل حمدان: قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 1991م، ص54.

يعرفه من وجهة نظره واعتقاده، فنجد التخييلية الجوهرية تستند على اللاواقعية المحتملة في النصوص الأدبية، وتمنحها معاني عميقة، وتحفز القارئ على التأمل فيما وراء المعنى وتحللها بعمق، أما كولردج وزروف فيربطان الخيال بالإبداع الإنساني، إذ يعدانه قوة أساسة وحيوية تشارك في بناء الواقع وهيكلته بطريقة تفوقه.

2. عند العرب:

عرفصلاح عبد الصبور التخييل بقوله: أجمل ما في إنسانيتنا، كما أن تحريره وتنشيطه مازال من أهم وظائف الفنون القولية والبصرية، وهذا راجع إلى الحرية التي تعد مركزا لذلك، فبالرغم من تجرده من ضرورات المادة، والتخفيف من الأعباء التي أثقلته، لينصرف ثانية إلى عالم الحرية الإبداعية فيصبح أشد قدرة على إعادة تشكيل حياته وصياغة فضاءاتها[1].

كما نجد بعض نقاد الشعر قد عرفوه استنادا إلى ما تأثروا به عند أرسطو، وعلى رأس هؤلاء حازم القرطاجي، الذي عرف التخييل بـ: " أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه، وأسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة، فينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها، انفعالا من غيرروية إلى جهة من الانبساط، أو الانقباض"[2].

وعرفه في موطن ثان بأنّه: " لا يخلو في أكثر أحواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون معرفة المخاطب له أقوى وفهمه أسرع، وهذا ما يجعل أنس النفس أوفروارتياحها له أكمل"[3].

---

[1] ينظر: صلاح عبد الصبور: أشكال التخييل من فئات الأدب والنقد، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص8.

[2] عثمان عوافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000م، ص150.

[3] فاطمة سعيد أحمد حمدان: "مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة"، مخطوط رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد والبلاغة، إشرافعبد الحكيم حسّان عمر، فرع النقدوالبلاغة، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1989م، ص16.

فالتخييل عند العرب له شأن عظيم في التجديد والإبداع الفني والأدبي، فهو يسعى لتوسيع نطاق الإدراك والتعبيرعند الإنسانية والعالم كافة، إذ يُضم كوظيفة قولية وبصرية ذات ميزة آدمية، تشجع على حرية الفرد، كي يتمكن من الالتحاق بعوالم جديدة تساعده على ترميم ذاته وتنميتها، كما ترفع له بذلك من فرصة استيعابه.

إن اتساق وانسجام هذه العناصر (التوثيق السردي/ الوعي واللاوعي/ التخييل)، يصوغ لنا أدبا راقيا ووفيرا، فالمبدع الفطن والملم بخلفيات الوعي واللاوعي بشكل عميق وغائر له قدرة فائقة في توثيق الأحداث بصورة شاملة ودقيقة متفحصا كل التفاصيل التي قد تعينه في تلك العملية السردية، مانحا بذلك للشخصيات امتدادات عديدة تضعها في مواقف تبين جوانبها النفسية والواقعية، ولا تكتمل هذه العملية دون إدراج التخييل لكي يصبح العمل الأدبي أكثر تفردا من قبل بفضل التأثرات والتأثيرات.

وبناء على ذلك سنخوض غمار هذه الرحلة التحليلية نحو آفاق جديدة، في عالم روائي تقترن فيه الحقيقة مع الخيال، لتعطي لنا خلفية جديدة للموضوع المدروس.

الفصل الأول: التوثيق السردي في رواية
من يستأجر لي وطنا؟

أولا: قراءة في العنوان

ثانيا: مركزية الحدث والأنوات الفاعلة

1.1.1 مركزية الحدث:

1.1 التراجعات

2.1 التأزمات

2.1.1 الأنوات الفاعلة

1.2 الأنا الرئيسية

2.2 الأنوات الثانوية

1.2.2الأنوات القسرية

2.2.2الأنوات الطوعية

ثالثا: تشكلات الزمكان في الذاكرة المنشطرة

1. المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني

1.1 المفارقات الزمنية

3.1.1 الاسترجاع

4.1.1 الاستباق

2.1 الإيقاع الزمني

1.2.1 تسريع الحكي

2.2.1 تبطيء الحكي

2. المكان بين الحرية والقيد

1.2 الأماكن الإجبارية

2.2 الأماكن الاختيارية

3. الزمكان بين التذكر والنسيان

1.3 موضع الزمكان والنسيان

2.3 موضع الزمكان والتذكر

قبل التغلغل في صميم عوالمهذه المسألة، لا بد لنا من استعراض موجز لأهم النقاط التي تم طرحها ضمن السياق العام للفصل الأول، والموسوم بـ: "التوثيق السردي في رواية من يستأجر لي وطنا؟". فمن خلال هذه الجولة العلمية ارتأينا لتمحيص الحوصلة العامة لهذه الفكرة الما بعد حداثية ضمن المجال الأدبي، إذ تتجسد من خلال طريق سرد الأحداث بصيغة فنية وجمالية يخضع فيه المبدع إلى ثنائيتي الوعي واللاوعي بلمسة تخييلية حاكى بها فترة زمنية مضت من التاريخ الدامي للجزائر. إذ اكتفى الطاهر مرابعي بتأدية دور الروائي لا المؤرخ حتى يتمكن من بلورة الأحداث والتلاعب بالحقائق كما ينبغي له، فيمرر رسالته بأريحية. ولا نقف عند ذلك فقط، وإنما نجد بأن رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، حظيت بهيكلة سردية جمعت بين مجالات عديدة، كلها ساعدت في تنامي السرد الذي مكنها من بلوغ هذا التطور الذي أسهم في نجاح المؤلَف الأدبي، مما زاده جمالية فنية أكثر، وعزز من استيعاب المتلقي عن طريق جذب ولفت انتباهه.

استنادا إلى ذلك نستهل دراستنا بما يلي:

أولا: قراءة في العنوان:

العنوان "مجموعة العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس النص لتحدده"[1]، لأنه مفتاح المحتوى، والعمادة الأساسية للعمل الأدبي، فهو بمثابة بوصلة توجه المتلقي نحو فهم المضمون السردي، والغوص في مضمراته، فهو: "رسالة لغوية تعرف بتلك

[1]محمد الهادي المطوي: "شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق"، مجلة عالم الفكر، ع01، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، سبتمبر1999م, ص456.

الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه"[1].

ونظرا لأهميته البالغة في العمل الأدبي عد سيمة تحيلنا إلى لب النص، إذ أن هذا الأخير يتصل بالعنوان اتصالا وثيقا وعضويا كعلاقة الجسد بالأعضاء، إذ إنهما يكملان بعضهما البعض، فهو يؤثر في عقل القارئ ويجذبه نحو المتن. ويظهر ذلك في أنه: "مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه، فيكمله ولا يختلف معه، ويعكسه بأمانة ودقة"[2].

ومن خلال مكتسباتنا القبلية وما تم الحديث عنه تطرقنا إلى تفكيك عنوان هذا المنجز الذي بين أيدينا، والمعنون بـ: "**من يستأجر لي وطنا؟**". إذ يتبدى العنوان استفزازيا وإغرائيا، ملمحا إلى موضوع حاسم ومحوري، يظهر بجلاء ووضوح في البحث عن الهوية، ومن المحتمل أنه يعكس حالة الاشتياق أو الاغتراب التي يعيشها البطل (زهير)، ويتضح ذلك في أنه يوحي بالسعي وراء الاستقرار والبحث عن مكان مشابه للوطن يشعر فيه الناس بالانسجام والراحة على جميع الأصعدة خاصة السياسية، والاجتماعية والدينية منها...إذ أنه يعكس قصة جوهرية تحاكي الواقع، نتيجة ما تم سرده عبرها عن قضايا الهجرة، والانتساب والحنين إلى مسقط الرأس، والبحث عن مكان يُعطيه صفة الوطن حتى وإن لم يولَد فيه.

وقد جاء العنوان جملة ذات صيغة استفهامية، طُرحت من طرف الكاتب والذي يتقمص دور الشخصية المعلومة، التي تبعث خطابا مفاده البحث عن وطن يحتويها،

---

[1] أحمد مداس: "العنونة في الخطاب الشعري"، مجلة المخبر، ع3، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006م، ص176.

[2] عبد القادر رحيم: "سيميائية العنوان في شعر مصطفى الغماري"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص الأدب الجزائري، إشراف صالح مفقودة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2004 م، ص25.

فيكون المتلقي فردا غامضا غير معروف، تحمل دلالات جمة تتعلق في البحث عن كل ما له صلة بالبلد الأم وبعده عنها، كالتشتت الهوياتي، والشعور بالغربة والاستياء، والرغبة في إيجاد مأوى آمن، والإحساس بالشوق للوطن، والرغبة في العودة إليه أو العثور على مكان مماثل له.

ومنه يمكننا القول إنّ الاستفهام لم يأت به الطاهر مرابعي اعتباطا، وإنما وضع لغاية بذاتها ولذاتها، كأن الشخصية الرئيسة تبحث عن مخرج من خلال استنجادها بمن له قدرة أكبر كي يساعدها في استئجار وطن أو إيجاد وطن آخر يشبهه، فيبين للقارئ مدى حاجة الشخصية المحورية للوطن وإلحاحها على ذلك حتى وإن تطلب الأمر استئجار بعضه، كما أن هذا الاستفهام تعقبه دفقة من التساؤلات المتعلقة بالهوية والاندماج: من أنا؟ أين أنا؟ هل الوطن يُستأجر؟ أين سأرحل وارتحل؟ ما هويتي؟ وإلى أي وطن أنتمي؟ ما الذي دفعني لهجرة وطني الأم؟ ما الرابطة التي تجمع بين الوطن والمواطن؟ وهل هو مجرد رقعة جغرافية أم أنه أكبر من ذلك؟... فالاستفهام هنا لم يأت عشوائيا، بل هو جزء لا يتجزأ من رغبة الانسان في معرفة وإدراك ما حوله، كما تقوي هذه الجملة الاهتزازية عملية التواصل البشرية. ويعمل كوسيلة للتعرف على هويتهم، والبحث عن قيمتهم وسط شعوب الغرب العنصريين.

كل هذه التساؤلات تولدت حين استحالت القدرة على التعايش والتواجد بين أحضان الوطن، فهي توضح حالة الشتات والتشتت التي يعيشها البطل، بداية بالألم الذي ألم به في بلاده، والقهر والتقهقر، والعجز، والتقييد...، مما دفعه للتفكير في سبيل ما يخلصه من كل ذلك، فيقرر بعدها الاغتراب عن وطنه طمعا في العيش الرغيد والحياة الزهرية، فهو مثال للعديد من أقرانه ممن يرغبون في استئجار وطن يحميهم ويحتويهم بعيدا عن أرضهم الأصلية.

ثانيا: مركزية الحدث والأناوات الفاعلة:

1. مركزية الحدث:

يشير هذا المصطلح للبؤرة المحورية التي تحيط بها مختلف عناصر الرواية، كما تحوز فيها الأحداث على النصيب البالغ من الاهتمام، مما أهلها لتكون في مقدمة الأجناس الأدبية. إذ أن جميعهم يشتركون في ارتباطهم بمرجعية ثقافية، فيكشف لنا بأن السرد لا يقتصر على ضرب من الضروب بل يتعداها إلى أنواع أخرى تنخرط في تأويل المرجعيات وتعطيها تصورات متعددة[1].بموجب هذا نتطلع إلى الحديث حول هذا النوع من الصراعات الأدبية الذي تتأثر فيها البنى التحتية والفوقية ببعضها البعض.

1.1. التأزمات:

هي مركز التوتر والإثارة في الرواية، وتأتي بعدة أشكال كالصراعات والمشاكل التي تواجه الشخصية الرئيسة والمتعلقة بالعوامل التاريخية، التي ينأى فيها الروائي عن مسار المؤرخ والتأريخ. كما أنها تتجلى في كيفية التوثيق للأحداث المذكورة في الرواية[2]، فالبطل **زهير** ما هو إلا انعكاس لشعب يرغب في العيش برفاهية، هروبا من كل شيء سلبي الفشل، العنف، الظلم، البطالة...، فهو مثال للشاب المغترب الفار من ذاته ووطنه، جراء الأوضاع السائدة آنذاك، والتي خلفتها الفترات الآفلة من تاريخ الجزائر خاصة فترة السبعينيات، والاشتراكية إلى غاية العشرية السوداء.

فالظلام الذي لاح في أرض البلاد وخيم عليها دفع به للهجرة نحو الأفضل، ليجد نفسه فريسة تترصدها فتاة غربية، بهية الملامح، تبدو بريئة، إلا أنها على نقيض ذلك تخفي الكثير خلف تلك الوسامة، فهي فتاة لعوب تتطلع جاهدة لتشويه الدين من خلال

[1] ينظر: عائشة لعبادلية: "الرواية من منظور الدرس الثقافي"، مجلة آفاق للعلوم، ع9، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، سبتمبر 2017م، ص235.

[2] ينظر: سليم سعدلي، خيرة نعيجي: "البؤرة الحدثية والأنوات الفاعلة في رواية "ذاكرة معتقلة" لبلال لونيس"، مجلة الخطاب، ع2، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 02 جوان 2021، ص278.

توسيع نطاق ومدى فكرة الإسلاموفوبيا*، كما أن يدها طالت التاريخ فراحت تعيبه وتزيفه، وتطمس هوية الآخر وتستحقره..، حتى السياسة لم تسلم من ذلك بسبب المدعوة **سلاف** والتي تقول باستهزاء: "أنتم العرب تنتقمون من الغرب دون استثناء... تنتقمون من الذين استعمروكم وسلبوا ثرواتكم.."[1]، فمن خلال هذا القول يتبين بأن نظرة الغرب لا تستثني أحدا في العالم العربي، فالجميع حسب زاوية نظرهم الضيقة مذنب، وظالم، ومتعطش للإبادة والبطش، وكأن رغبتهم في الانتقام ممن استعمرهم منعتهم من الرأفة بذلك الشعب. فرغم التشويهات والدسائس ضد الوطن، والأزمات التي مست جميع الأصعدة، إلا أن هذا كله يبقى مقدسا وقابعا في الذاكرة. فنجده يقول: "تطوف حول العالم بأكمله، لكن لا أرض تصبح لك وطنا، قد تمنحك أي دولة في العالم المال والحرية، وتنجدك من الفقر، وربما الموت، لكنها لن تكون لك وطنا"[2]؛ فمن خلال هذا يتبين لنا حد حالة الوعي التي انتابت الروائي وتفطن إليها، وإلمامه بكامل الحيثيات المحيطة بالمعنى والمضمون، بحكم الأوضاع المزرية التي عاشها، والأحداث القاهرة التي مست مختلف ربوع الوطن فدمرته، وهي مشبعة بدلالات ومعاني كثيرة فـــ: (تطوف حول العالم بأكمله) تدل على أنه مهما جاب أصقاع الأرض وزار أغلب البلدان، فإنّه سيجد نفسه بلا انتماء وهوية ويفقد وطنيته، فالشعور بذلك يسمو على كل شيء.

كما نجد في السياق ذاته لفظة (لكن) الاستدراكية، التي تعطي بعدا إضافيا للتأكيد وتوضيح المعنى، محدثة بذلك تقلبات تتعلق بحالة من الإدراك والشعور بأنه لا وطن كوطنه، وأنه مهما منحته الأوطان الأخرى إلا أنه سيظل مبتورا، ومشوّها عاطفيا، فاقدا لحلقة منحياته لأنها لا تباع ولا تشترى، ولا يحصل عليها الفرد بالماديات والثروات

* التحامل والكراهية والخوف من الإسلام والمسلمين في الدول الغربية.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، (د.ط)، 2019 م، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص82.

الطائلة، فالوطن ليس مجرد رقعة جغرافية وفقط، بل هو المكان الذي تحس فيه بالألفة والأمان، وتُكون به علاقاتك الاجتماعية، وتحسن التواصل التاريخي، الاجتماعي والثقافي فيه، وبالتالي يتيقن بأنه مهما حاول الاستقرار في بلد آخر، فإنه لن يجد مأوى دافئا يؤويه ويفتح له ساعديه، فحتى وإن فتحت له الأبواب تبقى موصدة، وإذا منحت له الحرية، والجاه، والمال، ووفرت له الحماية الكافية، إلا أن كل ذلك لن يُبلغ الوطن الآخر منزلة بلده.

يتسنى لنا القول بأنّه أعطى لنا إحالات عن كينونة الوطن، فهو كالأم لن يجد له نظيرا في أي مكان، ولن يكرره له حتى الزمان. ليدخل دون وعي منه في وضعية تساوٍ وتكافؤ بين الأم والوطن جعلت منهما وجهان لعملة واحدة.وكأنه بذلك يتدارك ما أحدثه اغترابه من زلزلة أصابت الجميع خاصة أمه يقول: "سامحيني يا أمي، سافرت من أجلك وعدت من أجلك، كنت أعرف منذ البداية بأنّي لن أجدك هناك"[1]، فالكاتب صور لنا من خلال هذا الجزء حالة الذعر والفزع التي يعيشها البطل زهير والمصحوبة بالحسرة والندم، كما أنه تنبه لقيمة الحياة حين تكون بين الأرض والأم وحين تكون بعيدا عنها. فالأم والوطن كلاهما مصدرا للحنان، العطف، والدفء، فزهير خلال فترة اغترابه عاش الحزن والاشتياق معا، فصِدْقا الأوطان وإن جارت عزيزة.

إذ إن الكاتب هنا تصادف مع موقف لا واع بيَّن مدى عجزه عن تعيين جوهر الحدث ومركزه، والذي تسببت فيه التقلبات الحاصلة معه، وهذا ما نتقابل معه بكثرة في تياري الوعي واللاوعي داخل المتن، لهذا نجد زهيرا يقول: "ما أضيق العالم حين تكون بعيدا عن وطنك"[2].ومنه نرى أن الشخصية البطل تدرك أن الأرض تغصّ وتختنق حين نبتعد عنها. فالسارد يدخل في صراع عقلي ونفسي بين الماضي والحاضر، هنا وهناك،

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص81.

بين الحضور والغياب...، فتزايدت جراح وخدوش الذكريات التي لم تندمل بعد، وتنامت الشروخ التي بين الأنا والآخر، بين الفرد وعالمه الخارجي، لينصهر في قالب اللاوعي الذي يعد عاملا محركا ومحفزا للوعي، فتنتج عنه تسربات روحية وشعورية يبوح بها المبدع عن تضييقات ومكبوتات كانت أسيرة اللاشعور، ما اضطره إلى التخلص من قسوة الواقع التي تلاحقه من مكان إلى آخر وإزاحتها عن طريقه، فراح يستعين بالخيال كي يوثق للمحور الحداثي الثاني بغية ضبط الإطار السردي، والرابطة بين الحدث الأساسي الأول والثاني والتي أشار إليها بتضمين شخصية **سلاف**، المستحوذة بدورها على نطاق حكائي ملحوظ، إذ يقول زهير محدثا عباس: "..تدربت على تفكيك المنظومات الإديولوجية وجماعات الرأي عند المسلمين بهدف نشر الفوضى"[1].

كما تضيف **سلاف** قائلة حول تاريخ الدول وعلاقاتهم بشركائهم وأعدائهم، قائلة باستهزاء: " تنتقمون من الذين استعمروكم وسلبوا ثرواتكم، ثم تضيف.الروس دعموكم في حروبكم ولم يستعمروا أوطانكم"[2]،فهي تسعى لتزييف الدين، وتحجيم التاريخ وتزييفه حتى تعجز الذاكرة الإنسانية عن استرداده، وهذا ما يشهد عليه منذ الوهلة الأولى لانبعاث أحداث الرواية وميلادها، ويبرز ذلك نتيجة الأدوار العميقة التي تلعبها الأشخاص بداية بردود أفعالهم إلى تعدد صفاتهم وتنوعها، وهذا ما هو إلا تسرب لا واع وإثارة عاطفية.وما يثبته المقطع الآتي: "تصل نبضات قلبي المفزوع إلى المكتب قبلي.. ترتفع دقاته صوتا وتزداد نبضا.. يسمع ذئب سلاف خفقاته.. يهرول نحوي وهو يكشر عن أنيابه ويكشف عن مخالبه استعدادا لغرسها في مقلتين سوداوين سواد زيتون الأمازيغ.ولا يبالي بضراوة وجه يشقه أنف يطاول بشموخه جبال الأرض..أنف رغمت منه أنوف الفرنسيين منذ أن وطئت سواحل سيدي فرج، حتى غادرتها مكسورة الأنف، يقطع صوت مكبح اليد عواء

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص118.

[2] المصدر نفسه، ص59.

الذئب في رأسي، وتلتقط أذناي صوتا بشريا عذبا يلاطف نسمات الجو.."[1]. ولإظهار المعاني المضمرة في المتن الحكائي، لا بد من الإفصاح عن قصدية السارد المشبعة بأيديولوجيات وعقائد عدة، إضافة إلى المدى الفكري الذي استحوذ على القالب الروائي، وعليه فإن الرواية الحديثة بمثابة ثورة عن كل ما هو تقليدي، إذ عملوا على تجديد تقنياتها الروائية والسردية الموروثة من الرواية الواقعية[2].ليصبح بذلك إقران الوعي بالذات أمرا ضروريا لا مفر منه يرمي إلى تهشيم الرابطة بين الفرد ومحيطه، وبالتالي يحقق ذاته بنفسه لا بمن حوله، "فنظرا للانسحاق الذاتي الذي يعانيه البطل فإن هويته تتخلخل، فيفقد ارتباطه بالمجتمع، ويمعن في استعذاب العزلة"[3]. إذ يتبين لنا أن البطل زهيرا في رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، يواجه صعوبات وتعقيدات تؤثر على هويته وارتباطه بالمجتمع، مما يجره نحو التفكير في العزلة والانعزال. كما يدل على فقدان أغلب روابطه الاجتماعية، وضعف اندماجه مع العالم الخارجي، وهو ما دفع به للانفلات نحو العزلة كوسيلة للتعامل مع تلك التحديات النفسية.

فالتعبير عن الأنا الحكائية بين فصول النص السردي تقرّ بقيمة الذات الساردة، ودورها في إزالة اللبس عن الماضي المرتوي بالإدراك المضطرب والآسي، وتفاعلا مع ذلك تحط القيم القديمة مبشرة بالتجديد، فيسعى فيها الإنسان للحصول على هوية جديدة ومسار حديث للتفكير والحياة، معتدا بحنكة المبدعين الذين خاضوا مثل هذه التجربة، ليتمرد بذلك على القيود والأغلال التقليدية المهيمنة على المعنى والدلالة، فيتمكن بذلك من إدراك مجموعة كبيرة من الحقائق الكاشفة للمستور، والمبينة للظاهرة العينية، والناجمة

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 55/54.

[2] ينظر: ويزة غربي، تجاوز تقاليد الكتابة الكلاسيكية في الرواية الجديدة، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع1، جامعة لونيسي علي، البليدة، الجزائر، ديسمبر 2017م، ص193.

[3] مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، أغسطس1991م، ص75.

عن التمويه السردي والتضليل المصاحب للذاكرة المستندة على مرجعيات وثقافات متباينة، وهذا ما يقتضيه تراكم المعتقدات و الارتكاز على خلفيات الذاكرة، باعتبار القارئ كائنا اجتماعيا، منتمٍ لنطاق ثقافي معين، وتحكمه بيئة تسير مخيلته... كما لا نتجاهل بأن التخييل يسرد عالما افتراضيا له القدرة على التمازج مع الواقع[1]. ومنه فالقارئ كائن اجتماعي ينتمي إلى ثقافة معينة، ويتأثر بمحيطه والتجارب التي شكلت خياله وتفكيره، كما يشير الروائي إلى أن التخييل يمكن أن يصوّر عوالمَ افتراضية تختلف عن الواقع، ولكنها قد تتقاطع معه وتؤثر فيه، وتدفع بهدون رويّة في صدمات النفس الداخلية والأزمات الشعورية التي تعيشها الذات الراوية، فتسفر عن بيان جوهرها، ويرجع ذلك لارتباطها بسنن يذبذبها بين الإحساس واللاإحساس، وبالتالي لا ننسى محاولات الخطابات السردية في التمكن من تعثرات الأنا وكيفية تفاعلها مع الآخر.

فنجد الطاهر مرابعي يعتمد المجازات والاستعارات كي يعطينا دلالات ومعانيَ دقيقة جدا تصف المشهد داخليا وخارجيا، معبرا عنها بصورة رمزية بصرية مكثفة، ولتمريرها وظف لغة تزاوج وتجمع بين الوصف المحسوس والتعابير الخيالية المستترة لميلاد جو من التوتر والترقب، ما يجعل الشخصية البطل زهير يواجه الصعاب بسبب تأثره تاريخيا وثقافيا وبقوله: "يسمع ذئب سلاف خفقاته.."[2]، فهذا المقطع صور لنا موقفا مثيرا ومشحونا بالتوتر والخوف، تجسد جراء تواجد السارد البطل زهير في مواجهة ذئب سلاف، وهو نوع من الذئاب البشرية الشرسة.

إذ تظهر الأجواء متوترة ومحمومة بالاعتماد على وصف الشخص لنبضات قلبه المفزوعة وارتفاع دقاته بشكل ملحوظ، وصوتها المسموع، وكذلك تصف تفاعل الذئب معه بالاستعداد للهجوم، حيث يظهر مكشرا عن أنيابه ومخالبه. كما تظهر الشخصية الرئيسة

[1] ينظر: عبد الغني بن الشيخ: "التخييل الروائي وخدع التمويه السردي"، ص 154/150.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص54.

وعيا كبيرا على الصعيدين التاريخي والثقافي، فيتحدث مشيرا إلى تاريخ الفرنسيين في المنطقة، ومعاناة السكان المحليين للجزائر معهم، مؤكدا على فائدة المرجعية التاريخية والتي ربطها بحالة من التوتر خاصة في تلك الفترة، إذ يقول أحمد: "...انظر إلى فرنسا، نحن لا نرى فيها إلا تلك المباني الشامخة والهندسة الرائعة... التي كانت موجودة في الخزائن"[1]، مؤكدا قوله بما يحدث به زهير نفسه: "...أنف رغمت منه أنوف الفرنسيين منذ أن وطئت سواحل سيدي فرج، حتى غادرتها مكسورة الأنف..."[2]، ومن خلال: "يقطع صوت مكبح اليد عواء الذئب في رأسي"[3]، هنا يحاول وصف الأصوات التي من حوله كصوت مكبح اليد، عواء الذئب في رأسه، والصوت البشري العذب، فيصور زهير ما رآه مبرزا المشهد بأكمله كما لو كان يحدث في الواقع والعالم الحقيقي أمام عيني المتلقي، مما يثير في نفسه القلق والتوتر ويجعله يشعر بالمخاوف نفسها التي أحس بها السارد ذاته. هذا ما يدفعه للعيش في تقلبات وصراعات بين الفرار مما كان وحدث ومما قد يكون وسيحدث.

2.1. التراجعات:

إتماما للدراسة ضمن مركزية الحدث، كونها شبكة متداخلة ومتكاملة فيما بينها، ويتم ذلك بوجود طرف ثالث يحرك العملية السردية بطريقة فسيفسائية مائعة، فيبني الحدث منفتحا على جملة من التأويلات المرهونة بالقراءات المتنوعة والمختلفة[4]. وفي رواية "**من يستأجر لي وطنا؟**" تظهر دعامة أساسية تقوم بهذا الدور، وتقلب الأحداث بالرغم من ظهورها في نهاية العمل الروائي فقط، إلا أنها تركت بصمتها في الشخصية الأساسية إنّه **عمي الصالح** الذي يمثل مركز التقابل ونقطة التلاقي بين الوطن الأم وأرض الغربة، بين

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص55.

[3] المصدر نفسه، ص55.

[4] ينظر: سليم سعدلي، خيرة نعيجي: "البؤرة الحدثية والأنوات الفاعلة في رواية "ذاكرة معتقلة" لبلال لونيس"، ص 283.

اللقاء والاغتراب، والمستحوذ على مجال زمني معتبر، أهّله للإحاطة بالمواقف التي تسهم في رفع الوتيرة الحكائية، فتفتح باب التحليلات أمام القارئ، وتتصاعد نسبة الضغط عنده، فتذبذبه الذكريات بين الزمن القديم والفترة الراهنة، إلا أن هذا الإجهاد والضغط يعيدان السرد إلى أقل قيمة من التناقص الزمني الذي يخضع الأفراد للانفتاح بكل أنواعه، بغية تحقيق ترابط نسبي بين الأحداث، ويحقق الإثارة فيها، فالتوازن الذي حققه عمي الصالح على مستوى السيرورة السردية لا يستهان به، فهو حرك الأحداث بصورة تفاعلية وحماسية. كل هذا أدى بمساراتها للترنح بين استرجاع الذاكرة والاسترداد القبلي. وهذا ما ينشطر عما وثقته أحد الشخصيات في الجهة المقابلة من حياته كي يواجه واقعه، فيعمل بها الكاتب على أنها مجريات واقعية، في حين يتخذها عمي الصالح كمبتغى ينقله إلى مضمرات الذاكرة التي تمكنه من التوثيق. ولا يحصل ذلك إلا باليقظة المؤدية إلى مستقرات وأساسيات مرتبطة بالعقل الباطني الملمح لتاريخ كبير وعريق، لا من أوهام وتصورات تباد على مر العصور وتزول بسبب إهمال الذاكرة.

وفي السياق ذاته نستدل بما يوحي بذلك عن عمي الصالح: "ينطق شيخ مشرد يقبض بيده على كيس كبير مملوء بالملابس القديمة كنا قد جلسنا قريبا منه.."[1]. فالانشقاق الحاصل والناتج هنا يتفاوت بين متضادين هما الاضطرار للبعد والشوق للوطن، بين الجبن والعزم، الذي من شأنه سد التمزق بين الفترة السالفة والوقت الحالي،و منه فإنّ عمي الصالح أصبح يرمز للوطن، طبقا لما وظفه من رمزيات وإيحاءات تلخص الأوضاع المشينة المهيمنة على الجزائر، فبعيدا عن العشوائية والبعثرة نجد الكاتب يقرن بين ثنائيتين نجمت عنهما المقابلة والانفصال، فراحت كل واحدة منهما تحيي الذكرى، والبلد الأصلي المعبر عنهما بعمي الصالح الذي يمثل رؤية فنية تعكس السنوات العجاف والنزاعات التي مرت على تاريخ الجزائر وشعبها، فظلت حبيسة الذاكرة إلى اليوم.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص106.

إذ إنّه يبين لنا من خلال هذه الشخصية بأن الوطن يعاني من ظروف العيش الصعبة والمتدهورة، كما يرتبط هذا بوضعيته متأثرا بالنزاعات، وأساسيات الركود الذي نخر البنيتين الفوقية والتحتية.وهذا ما تشبث بالذاكرة وهي في أسوأ ظروفها وحالاتها، فكلاهما في ضيقة مما تثاقل عليهما فأعجزهما. فاندفع الوطن مهرولا كي يزيح الحجاب عما أخفي من تفاصيل في سراديب الذاكرة، إلا أن هذه الأخيرة لم تثبت في مكانها كشاهد على ما يحدث، بل تحرت عن تأثيرات تغيرات الحياة عن الوطن.

ومن هنا ننطلق صوب الدعامة المحورية الرابعة المتولدة من الذاكرة ولهفة الاشتياق، والمحددة بسلوكياتها وتبرز من خلال **أحمد**؛ لا يتسنى لنا التمييز بينه وبين الشخصية السابقة، بفضل التلميحات والإشارات التي سبق وأن تقابلنا معها. ليتحلى بطوعيته اتجاه مشروع توثيق تاريخ الوطن المتمثل في استثمار الحاضر، حيث تسهم في بناء فهم دقيق وعميق للماضي ووصله بالواقع الحالي، مما يؤدي إلى تشكيل رؤية مستقبلية متكاملة ومستنيرة، ونستدل عن هذا من الرواية حيث يقول: "ارجعا إلى وطنكما ولا تمنحا الندم فرصة، فالندم لا يأتي إلا بعد فوات الأوان"[1]، وفي هذه العبارة يتبين لنا بأنه هناك ما يجمع بين الوطن/ الذاكرة/ التاريخ، لتصب كلها في بوتقة واحدة باعتبارها أدوات ووسائل لتبرير سياسات معينة أو للتأثير على آراء الناس، كما تعزز قيمة الوحدة الوطنية والتكافل الاجتماعي دون وجود أي أثر للصراع السياسي المباشر،إذ أنّ اصطفاء العم صالح لتمثيل هذه الشخصية لم يكن محض صدفة ولا ضربة حظ في رهان، وإنما جاء وصفه ليمنح سريان الأحداث طابعا بلاغيا ودلاليا لما لهما من وقع نفسي عليه هو وأمثاله، إذ نصادف نوعا من التلميح تحفظا في النظر إلى التاريخ من خلال النصيحة المقدمة بعدم إعطاء الندم فرصة والتغلب عليه، والتركيز على العمل البناء والإيجابي في الوقت الحالي والتفاؤل بالمستقبل القادم، فهو يوحي بتاريخ جديد، بعيدا كل البعد عن

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص113.

الحسرة والندم فيعطي بذلك إشارة بتسخير التجارب السابقة كدروس لتنمية الحياة في الوقت الحاضر والآتي.

فالإرشادات التي منحها لهم عمي الصالح بالحذر من الندم والخيبة في اختيار واتخاذ القرارات الصائبة تعرب عن كشف الاسترشادات المعمقة داخل الذاكرة المقيدة، منبئة بالتنفيس عن الذاكرة الظاهرة، نتيجة الخضوع للاشعور واللاوعي الساري بلا عوائق، ليصبح فهم الأنا وتطورها محل عجز وقصور في ظل التمزق والتفكك العاطفي، فكلها تكدسات ذات مرجعية تاريخية تواجه نداء الصحوة من الحسرة والأسى، مؤكدا بذلك ما لعبه عمي الصالح من أدوار متقنة أحدهما دور الضمير و الآخر دور الوطن، فهذه الثنائية ذات بعد تصويري موازٍ للوعي الوطني بدقة ويحاكيه، محرزا بذلك التسلسل السردي المستند على القيمة الأساسية للذاكرة المحروسة والمطوقة بالوطنية وعظمتها، وقد تجلى بوضوح في قول أحمد: "تملك في الوطن وطنيتك أنت هناك جزائري الدم، لكنك هنا لست أوكرانيا ولن تكون، ولو حصلت على الجنسية فيعطون لك ورقة الجنسية، لكنهم لن يعطوك الوطن"[1]، وهذا إيحاء من طرف السارد على أن الوطن لا ينحصر في حدوده جغرافية بل يتعدى ذلك، باعتباره رمزا من رموزالقومية، وهو الأساس في الهوية الوطنية، إذ أن الوثائق الرسمية قد يمنحها لك أي بلد آخر، لكن لن تمنحك وطنيتك، ولا تاريخه ولا حتى الذاكرة المخفية داخل التحديات اللاواعية.

محصنا في ذلك الوقت بحلقة جامعة بين الماضي والزمن وهذا ما يحيلنا إلى الجمع بين ذاكرتين هما (عمي الصالح) و (زهير)، والذي أدى بدوره مسؤولية تمثيل الذات الرئيسة المؤسسة للبؤرة الحدثية ضمن البنية السردية، وهذا اعتراف تحريضي للمتلقي بسبب أن الراوي أفصح عن لقائه بعمي الصالح الذي لعب دورا مركزيا في التأثير على الشخصية الرئيسة، إلا أن ما يمكن الحديث عنه بكل ثقة في هذه الحالة هو التلاعب

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص113.

الروائي الدال على أن اللقاء بالشيخ المسن له شأن كبير دلاليا، فهو أسس لما سبق من البؤر التي تعمل جاهدة لإثبات الهوية الوطنية والانتماء العرقي لزهير، فهو بذلك يوثق للحالة الشعورية التي تنتابهم جميعا دون استثناء حين يذكر الوطن وتخترق هذه الكلمة آذانهم.

فالإشراقة النفسية المنبعثة من قبل عمي الصالح والسارد تكشف الستار عن الأصوات المكبوتة داخليا كرد فعل ضدي لغطرسة الحقيقة بكل مظاهرها وأساسيتها. مدركا بذلك ذاته، وما ألم بها من وقائع، فمرابعي هنا أبى إلا أن يزاوج بين الزمن الماضي والحاضر بمراعاته لمركزية الحدث التي أحاطت بها الجزئيات، مؤسسا بذلك لخلفية حرة جسد عبرها عمي الصالح الوقائع التي شملت (الدين/ الوطن/ التاريخ)، وما استحدث في شخصية زهير من أطر حكائية توثيقية في إطار الوعي واللاوعي، والمتداخلة مع الخيال المعين بفضل الأنوات المبدعة في تمثيل الأدوار المنسوبة إليها.

وبالتالي فالرواية من هذا المنظور تتجزأ إلى ثلاث مراحل هي: مرحلة ابتدائية تولدت مع متطلبات سقف التوقعات اللاأولية، جراء التساؤلات التي تهيم بالقارئ وتستحوذ عليه، حول حلاوة الوطن ومرارة هجره، وربطه بقول عمي الصالح: "هذه هي اليد التي ساعدتني،... يد الخير لفعل الخير.. كنت أبحث عنها منذ زمن طويل، لقد أعطتني الكثير ولابد أن تحصل على الكثير.."[1]، ومنه فإنّ التفاصيل داخل المتن الروائي غير شاملة، ومن هنا يمكن القول إن الرواية تكتل للعديد من التجارب الشخصية التي يكون فيها التأثير الشخصي متغلغلا أكثر من نقيضه الغير الذي يخلفه لإدارة الحدث وتسييره. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التطبيق وتعنى بالإلحاح الآني والآخر وإصرارهما على التسامح بين الذاكرة، واستطراد مالم يفصح عنه والحامل لشفرة قوية، فنحط الرحال وصولا لآخر مرحلة وهي المرحلة الثالثة أين يستطيع الراوي وعمي الصالح لملمة شتات الذاكرتين

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 128.

مع بعضهما بعض وكلاهما داخل غرفة المستشفى، لتكتمل كما بدأت بانشطار الذاكرة وهذا ما يبرزه المقطع الآتي: "لا تستدر.. الحياة أمامك.."[1]، فيتشارك بعد ذلك كل من مرجان وعباس معبرين عن هويتهم وتاريخ بلدانهم الحافل بالبطولات، ونصرتهم للدين الإسلامي.

كما نضيف على هذا استهلاله السياق المطروح هنا بفعل(سافر)، وهذا الأخير يحدث نوعا من الارتدادات العاملة على تسريع الوتيرة المتعلقة بالحدث الناجم عن الإحساس بالوعي، والذي يتماشى مع وضعية الكاتب المؤسَسَة على حقبة زمنية حملت فيها الجزائر تحديات قاهرة، ليجعل استعراض الأحداث في تغير دائم، مثبتا ذلك بذكره لغزو ميناء سيدي فرج بداية الاحتلال، ومن ثم عرج على فترة الاشتراكية، بالإضافة إلى الفترة الدامية خلال تسعينيات القرن الماضي، رابطا بذلك بين ركنين زمنيين أساسيين إحداهما نفسي، والآخر واقعي للرواية، موظفا بذلك الجمل الاسمية والفعلية بشكل متناغم، لتبليغ الرسالة وإثارة القارئ، وخلق الجو المناسب والمثير للأحداث، فالجمل الاسمية تركز على الوصف العميق للتفاصيل والمشاعر، كما أن المستوى التركيبي له دور في تطوير الشخصيات وفهم طبيعة العلاقات بينها، وهي ذات دلالة على استقرار الحدث وصمود المواطن الجزائري أمام الهول الذي أصابه والتزامه وطنيا، دينيا، تاريخيا، فخضوع الشخصيات الروائية للإدراك واللاإدراك أهلها لتكون ضمن روايات تيار الوعي. بينما الجمل الفعلية وظفت لحاجة إلزامية فهي تدل على الاضطراب، باعتمادها على كثرة الأفعال مما يولد حركة وتغييرات في الرواية، خالقا بذلك ما يعرف بالحماس، فتصف التطورات والتغيرات المساهمة في بناء وتنامي التوتر والتشويق معا.

وفي الختام، يمكننا الحديث عن التداخل الحاصل بين المرحلة الابتدائية والنهائية للرواية، مع تحديد معضلة السرد وحبكته، ليكون بذلك الجمع بين متعارضين السبيل

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 130.

الأمثل لإرساء سفن الشخصيات المشتتة في ميناء الاستقرار الذي خفق زهير في تحديد معالم أفقه، رغم المحاولات الجمة والصدمات الكثيرة التي تلقتها الشخصية الرئيسة أثناء فترة اغترابها، وبذلك لا ننكر أن كل مقتطفات الرواية تبقى محل تأويل مفتوح أمام الجميع، وملك القارئ، فتأخذ كل دراسة رؤية خاصة بكل واحد منا، قد نتلاقى في بعضها ونختلف في كثيرها، إلا أن الهدف الأسمى هو تبيان واستنطاق ما يخشى الإنسان البوح به في زمن ما أو مكان ما.

2. الأناوات الفاعلة:

قد يجد الباحث صعوبة في تحديد المفهوم الاصطلاحي للأنا، لأنّها مصطلح مراوغ تتداخل مع العديد من العلوم كعلم النفس، الفلسفة، علم الاجتماع والآداب...، وفي هذا الصدد يقول عباس يوسف حداد: "الأنا مفهوم مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي، لأنّه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، العلوم العربية، والعلوم السياسية)"[1].

ويتحدد تعريف الأنا في المعجم الفلسفي بأنّها: " الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسر فصله عن أعراضه، ويقابل الغير، والعالم والمسؤولية"[2].ويقصد بذلك أن الأنا هي الذات والنفس التي لا تنفصل عن أعراض الإنسان (الفرد)، وتقابل العالم الخارجي _الآخر_.

أما من منظور فلسفي: " فهي تلك الذات العارفة بنفسها والمتفاعلة مع غيرها فتعلو _هذه الأنا_ كعنوان في شكل علائقي، الأنا والموضوع، الآخر، ويصبح هنا الموضوع متوسطا للأنا والآخر..."[3]؛ بمعنى أنّ الأنا هي الذات المتفاعلة مع الآخر، وهي وحدة علائقية بصفتها ذاتا، أي موضوعا قائما بذاته.

---

[1] حاتم زيدان، العيد جلولي: " جمالية المراوغة والتوظيف الضمائر للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش"، مجلة الأثر، ع29، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 2019م، ص195.

[2] الحسين قعفازي، نعيمة بوزيدي: "خطاب الأنا والآخر في رواية ديوان الإسبرطي لعبد الوهاب العيساوي بين التصادم والتفاهم "، مجلة المدونة، ع02، جامعة لونيسي علي، البليدة، الجزائر، 2023م، ص317/316.

[3] حاتم زيدان، العيد جلولي: "جمالية المراوغة والتوظيف الضمائر للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش"، ص196.

ومن خلال هذه المفاهيم الاصطلاحية تتمثل الأنا كذات فاعلة، أو موضوع رئيسي، أو شبه رئيسي _ثانوي_، يحيل إلى العديد من الأبعاد المتكاملة التي تجسدها الأناوات داخل المتن الحكائي.وهو ما سنقوم بتوضيحه كالآتي:

1.2. الأنا الرئيسية:

هي المجال الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث، تمثلها الشخصية والذات التي: "تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام... وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"[1]؛فهي الشخصية التي تحظى بحضور كبير في العمل الروائي، إذ تسند لها أدوار ووظائف لا تسند لشخصيات أخرى.ولا يوجد عمل روائي دون شخصيات رئيسية، وهذا ما نجده في الرواية التي بين أيدينا " **من يستأجر لي وطنا؟**" للطاهر مرابعي، الذي اتّخذ من شخصية زهير نواة رئيسية لمتنه السردي، فهي شخصية أساسية تحتل حيزا كبيرا في المتن الحكائي، وتُعتبر أهم عنصر تدور حوله الأحداث ونواة محورية يُبنى عليها العمل الروائي..، وقد تجسدت شخصية البطل السارد كالآتي:

- زهير:

زهير شاب جزائري ينحدر من ولاية سطيف، اغترب عن وطنه الذي ترعرع فيه وترك خلفه هويته ووطنيته، حاملا معه في حقيبته هزائمه وأزماته وبقايا الوطن، ليبحث عن وطن آخر يستأجره، وحياة أفضل يسكت بها خيبة رجل مقهور، رجل ضائع جائع لكل شيء، للطعام، للجسد، للحرية، للحياة، للمال...وغيرها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل حقيقة هناك وطن للإيجار؟ هل فعلًا يوجد وطن أفضل من الوطن الأم؟، هذا ما كان يزعمه بطل روايتنا زهير الذي نجده جال العالم بداية

[1] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986م، ص 211/ 212.

من قبرص، نيقوسيا، سوريا، ألبانيا، أوكرانيا...، وصورة وطنه الأم تطارده ولم تفارق مخيلته أبدا، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على حب زهير لوطنه الذي هرب منه بسبب الظروف الاجتماعية المزرية ومشاريعه الفاشلة، ودليل ذلك من النص: "... وطن يطاردك خارج حدوده... أنت لم تهرب من التراب... لم تهرب من وديان وأشجار الجزائر... أنت هربت من مجتمعك... هربت من مشاريعك الفاشلة فيه... هربت إلى أفق مستحيل في وطنك"[1].

ظانًا زهير أنّ هناك وطنا كوطنه الأم، وطن سيحتضنه ويرحب به بكل حفاوة، لكن وجد نفسه ضائعا في بلاد لا يعرف فيها شيئًا، إلا سلاف صديقته التي استدرجته وشجعته على المخاطرة والهجرة، ويظهر ذلك في قول الكاتب على لسانها: " لماذا قبلت المخاطرة والمجيء من الجزائر؟ أنت لا تعرفني.. ثلاث سنوات أو أربع في فضاء افتراضي لا تبرر قبولك، أنت تجازف كثيرا..."[2]، ويقول زهير أيضا: " تعرفت على فتاة أردنية وأنا في الجزائر عن طريق الفيسبوك، وطيلة أربع سنوات كنا نتحدث يوميا... وذات يوم طلبت مني أن أسافر إلى قبرص لنلتقي فيها، ووعدتني بأني سأعيش حياة أفضل هناك، فسافرت والتقينا"[3].

فزهير بعد مجازفته وهجرته لوطنه الأم انصدم بواقع حقيقي، كسر أفق توقعه، وأجبره على اختيار اسم سريّ.. فغير اسمه من زهير إلى إبراهيم، وهو ما يثبته هذا المقطع السردي: "ما بك زهير؟ إبراهيم، أنا إبراهيم.. هل هذا مناسب.."[4]، رغم هذا الإنكار إلا أنّه حافظ على هويته ووطنيته بعدم اختياره لنفسه اسمًا أجنبيًا، فهذا يدل على أنّ الكاتب

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص15.
[2] المصدر نفسه، ص13.
[3] المصدر نفسه، ص117.
[4] المصدر نفسه، ص26.

يدعو إلى التمسك بالهوية وعدم الانسياق وراء مغريات الآخر الذي ينزع منك هويتك دون مقابل.

وزهير في الرواية نموذج عن الذات والأنا المنكسرة التي تتصارع مع نفسها من جهة، ومع الآخر من جهة أخرى، كما يعتبر مؤشرًا ينقل لنا المشاعر والعواطف التي أراد الكاتب _الطاهر مرابعي_ أن يشعر بها ويعيشها قراؤه (كالخيبة والضياع، الفقدان والخوف، الحزن، الندم...).

فبعد كل المعاناة التي عاشها زهير لا يفوتنا أن ننوه بأنّه نَدم بشدة عن تركه لوطنه الحبيب الذي لم يجد له مثيلا منذ أن خرج من حدوده كقول سلاف: "فهمت أنك ندمت لأنك أتيت...فهمت أنك تبحث عن فرصة لإهدار ابتسامة تستميلني"[1]. وكقوله_زهير _ أيضا: " كانت طلقات نارية...موقعة يختم الندم على طبق الحسرة تصلني متأخرة أو سابقة لأوانها"[2].

وفي آخر الرواية يعود زهير إلى الجزائر، وإلى أمه الحبيبة، إلى كينونته ووجوده، وهو متيقن بأنّ الضيق والضياع والخوف الذي كان يشعر به سببه غربته، وبعده عن وطنه وعن روحه، ودليل ذلك قوله: " ما أضيق العالم حين تكون بعيدا عن وطنك!"[3]. ويقول أيضا:" سامحيني يا أمي، سافرت من أجلك وعدت من أجلك، كنت أعرف منذ البداية بأنّي لن أجدك هناك"[4]. هنا ينتصر الوطن عن طموح البطل السارد زهير الذي عاد يجر خيبته وآلامه ليحتضن وطنه متأسفًا.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص11/ 12.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص81.

[4] المصدر نفسه، ص137.

وبعد هذا الاستطلاع الواضح لشخصية زهير ندرك من خلالها الفكرة التي أراد الكاتب إرساءها داخل متنه الحكائي، وهي الوطن والوطنية رغم كل الأوضاع، وهي الفكرة التي أجادها زهير فأضحى فيها المحرك الفعال الذي خاض رحلة البحث عن وجوده وذاته ليرفع الستائر ويكشف عن المطمور، ويفرج عن المكبوتات الدفينة بين الوعي واللاوعي في قالب سردي توثيقي فني جمالي.

2.2. الأناوات الثانوية:

لا ننكر أنّ الأنا الرئيسية هي محور الرواية وركيزتها، إذا إنها تقوم بمسايرة الأحداث وتدفع بها إلى الأمام، وتعطيها حركة دينامية داخل النص الروائي، وهذا العمل لن يتم إلا بمساعدة الأناوات الثانوية التي لها أثر في تبيان الأنا (الشخصية) الرئيسة ومساندتها في مشوارها السردي[1]، فالأناوات الثانوية تُسند إليها العديد من المهام والأدوار، فنجدها في بعض المواقف مساعدة للأنا الرئيسة، وفي مواقف أخرى معارضة لها، كما تعتبر أقل فاعلية من الأنا الرئيسة، فهي الأناوات المساعدة التي "تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث، ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسة"[2]. ومنه فهي تلعب دورًا مهمًا في المتن الحكائي وتسهل سير الأحداث وتجعل العمل الروائي أكثر حيوية على الرغم من أنّ وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسة.

وفي رواية من يستأجر لي وطنًا؟ نجد الكاتب قد لجأ إلى تقسيم أدوار الشخصيات فجعل منها: شخصيات ترتبط بالبطل من بداية الرواية لنهايتها وتسمى الأناوات القسرية، وأخرى طوعية ذات حضور متذبذب، إذ تغيب وتحضر وقت الحاجة إليها دون حدوث

[1] ينظر: يمينة براهمي: "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة" لياسمينة خضرا أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية، ع01، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، الجزائر، 2021م، ص65.

[2] المرجع نفسه، ص66.

خلل في تماشي وسير الأحداث، ومن خلال هذه الأناوات الطوعية والقسرية يحدث لنا نسج جماليٌّ للعمل السردي _الرواية_، وهذا ما نجده يتجسّد في رواية "**من يستأجر لي وطنا؟**" للطاهر مرابعي حيث نجده تلاعب في وضع الشخصيات، ليجعل عمله الروائي أكثر عمقًا وتميزًا.

1.2.2. الأناوات القسرية:

إن التوظيف القسري للشخصيات الثانوية داخل العملية السردية لم يكن اعتباطا وإنما تأسيسا إستراتيجيا فرضه المؤلف لسدِّ فجوة الأحداث وتحريكها بطريقة دينامية، تجعلها أكثر تعقيدًا، لتزيد من حيرة القارئ.. وعليه فإن هذا التوزيع الإجباري لهذه الشخصيات يماثل الشخصية الرئيسية ويلازمها من بداية الرواية لنهايتها، ومن أهم هذه الأناوات نذكر:

- **سلاف:**

هي شخصية قسرية يعتبر حضورها ركيزة أساسية لتسلسل الحكاية، ونقطة مهمة في تحريك مجريات الأحداث. فسلاف من أم يهودية وأب أردني مسلم، وصديقة لزهير تعرّف عليها منذ أربع سنوات عبر الفضاء الوهمي لقوله: "تعرفت على فتاة أردنية وأنا في الجزائر عن طريق الفيسبوك، وطيلة أربع سنوات كنا نتحدث يوميا، وذات يوم طلبت مني أن أسافر إلى قبرص لنلتقي فيها، ووعدتني بأني سأعيش حياة أفضل هناك، فسافرت والتقينا"[1]؛ من هنا يتبين أنّ سلاف هي من ساعدت زهيرا واستدرجته بشخصيتها المزيفة وألاعيبها الخادعة بأن يفر من وطنه إلى عالم وهمي رسمته له بأقلام الخيال....

فشخصية سلاف منحها الكاتب دلالات لتسيطر على المتن الحكائي، وتمثلت أول حقيقة في نظرة الغرب المخادعة والدونية للعرب ويظهر ذلك في قولها باستهزاء: " أنتم العرب تنتقمون من الغرب دون استثناء.. وتنتقمون من الذين استعمروكم وسلبوا ثرواتكم..

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص117.

الروس دعموكم في حروبكم ولم يستعمروا أوطانكم، لكن كما تقولون، بالنسبة لكم " يروح المسلم في سباب المجرم"..."[1]، ثم تعقب: "تأكلون...بنات بلدانكم"[2]. ومن خلال هذا المقطع يتضح لنا أنّ سلاف نموذج عن الغير والآخر الذي يتصارع مع الأنا لفرض ذاته وسيطرته على الساحة السردية ومجريات الأحداث بقيادة الغدر والتلاعب.

كما سعى الطاهر مرابعي من خلال روايته إلى تأكيد الفكرة التي أرهقت ذاته وحطّمت نفسيته، وذلك من وراء شخصية سلاف التي باتت تخفي حقيقة مظلمة تمثلت في تدنيس الجانب الديني الذي أضحى اليوم حقيقة يسعى لها أمثال سلاف الذين يحرضون الضعفاء العرب على الجهاد ومحاربة اليهود بالاحتكام إلى شريعة الإسلام، ويمارسون عليهم الظلم والاستبداد، معتقدين أن ذلك هو الصحيح.و دليل ذلك في قول سلاف: "هم يوفرون الحماية لحكامكم في المحافل الدولية، ويضغطون عليهم لممارسة الاستبداد والظلم عن طريق مؤسسات الأموال العالمية التي بأيديهم، ثم يحرضونكم للثورة عليهم، في الأخير يتهمونكم بالإرهاب"[3]. ومن هنا يتضح أنّ سلاف تحاول اقتياد زهير إلى حيث تشاء باعترافاتها عن مكائد الغرب واستغلالهم للعرب في كل شيء لكنها لم تنجح في ذلك...، إذن من خلال دور سلاف أراد الكاتب أن يُؤكد لنا عن وعيه بكل من الجانب السياسي والديني، وأن يكشف كل ما هو مطمور بين شقوق الذاكرة وينفس عن ذاته على لسان الآخر، وذلك باستحضارهما الاثنين معا، حيث نجد سلاف تمكّنت من تأدية الدور بجدارة واحترافية لتصوّر الفكرة على أكمل وجه، إذ تمثل الجانب السلبي في الرواية.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص62/61.

وبالتالي فإنّ الانسجام الموجود بين الذات والموضوع هو ما جعل حضور سلاف قويا ليُؤكد علاقة الجانب الديني بالسياسي وعلاقة كليهما بالوطن في قالب سردي جمالي.

- العم صالح:

يلعب دورا مهما في العمل الروائي، إذ يعتبر حضوره في الرواية نقطة محورية قلبت موازين الأحداث.. فجاء العم صالح على هيئة شيخ متشرد ينحدر من ولاية قسنطينة، وهاجرها منذ خمسين سنة ولم يعد إليها، ودليل ذلك في قوله: "تربيت في قسنطينة، تسلقت صخورها، تسكعت في شوارعها، سرقت الفواكه في أسواقها.. كان ذلك منذ أكثر من خمسين سنة"[1].

إذ تحمل شخصية العم صالح جملة من الدلالات تفسر لنا ثنائية الوطن والغربة، وذلك باستحضار كل ما مر به من انكسارات ذاتية عاكسة لحقيقة الغرب، كما سعى الطاهر مرابعي أن يبث من خلال شخصية العم صالح نموذجا عن اختلاف(الثقافات، العادات، الأفكار، العقائد الدينية...) بين الأنا والآخر_العرب والغرب_، كما بثّ أيضا من ورائه نموذجا عن الغرب التي يحكمها الزيف والفسق وذلك بإتيانه بمثال حي عن انحطاط الأخلاق والاختلافات الموجودة هناك يقول: " تزوجت بامرأة أوكرانية... بسبب خلاف بسيط قامت بطردي من المنزل، ولم تحترم عشرة السنوات التي كانت بيننا، حيث أحضرت الشرطة"[2]. كما يقول أيضا: "لدي ثلاثة أبناء.. لا تسألني مرة أخرى، هنا تختلف التقاليد، الأبناء انصرفوا كلٌّ لوجهته، البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سن الثامنة عشر، أما الولد فسافر مع صديقته إلى ألمانيا منذ سنوات ولا أعلم عنه شيئا..."[3].

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص107.

[2] المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه، ص نفسها.

وبالتالي فإنّ العم صالح قد ندم بعد فوات الأوان عن ترك وطنه العفيف الطاهر، لذلك نجده ينصح زهير ومرجان بالعودة للوطن وأن لا يمنحا للندم فرصة في قوله: "...ارجعا إلى وطنكما ولا تمنحا الندم فرصة، فالندم لا يأتي إلا بعد فوات الأوان... إذا كنتما مهاجريْن فقد وصلتكما الرسالة..."[1]، كما يوضح لهما حقيقة يغفلان عنها ألا وهي أن الغربة صعبة جدا وطريقها مسدود، لا يعرف الاستقرار، كما يضيف أن الغربة تُفقد الشخص كل شيء ولا تمنحه وطنًا آخر، بل تجرده من وطنيته وتجعله يعيش حياة متقلبة يقول: "ستبقى في أعينهم عربي ومسلم.. سيقولون عنك مهاجرا إفريقي.. ألم أخبرك؟ كنت أظن أني حصلت على كل شيء هنا ولكنني اكتشفت أنني فقدت كل شيء"[2]. إذن هي كلها نصائح خلقت الفارق في الرواية، ومنحت لزهير تأشيرة الإياب لوطنه واسترداد وطنيته.

فالعم صالح يعتبر جانبا إيجابيا مثله باحترافية ليضفي على الرواية أبعادًا زادت من إثراء النص، ولملّمت شظايا انكسارات الكاتب الذاتية، إذ يعدّ دخوله في العملية السردية استثنائيا نوه من خلاله الكاتب لقارئه عن المجازر التي تمارس في حق المهاجرين. لذلك أراد الطاهر مرابعي من خلال شخصية العم صالح أن يبث رسالة لجميع المغتربين الذين تمثلهم شخصية زهير أو الراغبين في الاغتراب والهجرة كتوعية لمعرفة وإدراك قيمة الوطن والوطنية.

2.2.2. الأناوات الطوعية:

بعد مواصلة النبش داخل المتن الحكائي عن الأناوات تمكنا من الكشف عن المنظومة التي استخدمها الطاهر مرابعي في سير أحداثه وبناء روايته، و التي فرضت عليه أن يختار شخصيات _أنوات_ طوعية تغيب وتحضر عند الحاجة دون حدوث أي

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 108.

[2] المصدر نفسه، ص113.

خلل أو تشظّ في بنية المتن السردي... حيث نجدها تزيد من كثافة الأحداث وتجعل الموضوع الرئيسي أكثر عمقا.وتكشف عن الباطن بما يحمله من وعي ولاوعي. ومن هذه الأناوات نذكر:

- يوري:

هو شخصية ثانوية طوعية جاء حضوره في النص مؤقتًا أي شبه منعدم، ساعد البطل في نقله وسفره إلى سوريا للعمل طلبا من سلاف، يظهر دوره في الرواية تاجر أسلحة، وندرك ذلك من خلال المقطع السردي: " يوري تاجر أسلحة، هذا النشاط ليس خطيرا هنا، لكن لا يتم الأمر في العلن.."[1]. فكان هذا الدور يمثل الجانب السلبي لدى الغرب، فهم لا يوفرون للمهاجرين إلا الأعمال الخطيرة والمحرمة، وأراد الكاتب من ورائه بعث رسالة مهمة للشباب الغافلين كزهير حول تجارة الأسلحة وميدانها الخطير وحقيقة الغربة التائهة، حيث انتهى دور يوري في الرواية بالموت، يقول زهير: "قصة الموت هذه... هل تم اغتياله في حادث مفتعل أم مات في حادث طبيعي؟"[2].

- نوزاد:

هو شاب كردي وكاتب ومحلل سياسي مغترب، منحت له وظيفة النادل إذ يلعب دور المساعد للبطل في تقديم توجيهات له حول كيفية التعامل والتأقلم مع الناس، وجعله يتقن فن التعامل، إذ يعد نوزاد ورقة رابحة لزهير وذلك بكسب صداقته وسفرهما معا نحو ألبانيا، نحو مكان يرتب فيه السارد صفوف ذاكرته وينزع الغلاف الذي وضعته الديمقراطية.فنوزاد شخصية جعلها الكاتب وسيلة للإفراج عن ذاكرة زهير المنشطرة بفضل اللاوعي الذي عانى الكثير من الانكسارات من بينها السياسة الديمقراطية، كما جعله وسيلة يبوح بها عن الحقيقة السياسية في بلاده التي جعلتهم يغردون خارج السرب...

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

ويهاجرون أوطانهم على قوارب الموت نحو أوروبا باحثين عن بصيص أمل في أي زاوية من العالم.

- **محمد:**

هو شاب متدين من مقدونيا، تجلى دوره هو الآخر في الرواية بمساعدة البطل، والتوسط له للذهاب نحو أوكرانيا والوصول إلى منتهى غايته، بالإضافة إلى نصح البطل السارد _زهير_ بالعودة إلى داره وبأنّ الغربة وباء سيفقدك روحك بقوله: "أنا جربت الغربة وتنقلت إلى عدد من الدول...ليس أدوم ولا أفضل من الوطن، مهما كانت المعاناة وصعوبة العيش فيه، قد تكسب المال في بلد آخر لكنك ستفقد أشياء أخرى، ستعيش قائدًا لروحك... مجرد آلة للعمل"[1].فمحمد وظفه الكاتب ضمن منظومة الشخصيات قصد التأكيد على دور الوطن والوطنية والهوية في حياة الفرد. وهذا ما جاء في المقطع السالف باعتباره نموذجًا حيًا يصف من خلاله مرارة الغربة و آلامها والضياع في كل زواياها.

- **مرجان:**

وهو شخصية جزائرية (قبائلية) مغتربة، من أجل الدراسة، يعتبر صديقًا لزهير منذ زمن بعيد، فشاءت الأقدار أن يلتقيا في أوكرانيا ويمكثان معا في مسكن واحد، يختلف عن زهير في فكرته ومخططه في العودة للوطن بعد الدراسة في قوله: " الحقيقة يا زهير... أنا لن أبقى في روسيا سأكمل دراستي وأعود للجزائر"[2]. ومن هنا يتبين أن الكاتب الطاهر مرابعي أراد التوضيح من خلال شخصية مرجان أن الوطن هو المكان الرئيسي، مهما طال الزمن لابد من العودة إليه، ولا يوجد مكان آخر غيره سيستقبلك بكل حفاوة كما أراد أن يوقظ ضميرهم اللاواعي. لذا نجد مرجان في الرواية يمثل الشخصية الواعية العالمة المدركة للحياة بكل تفاصيلها، نقيض زهير الشخصية اللاواعية المنساقة وراء رغباتها ونزواتها.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 94.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

- عباس:

شاب فلسطيني يعيش الغربة، جاء في الرواية ممثلًا لجميع الفلسطينيين الذين يقاومون الاحتلال، الصامدين في وجه العدو، له علاقات سياسية ونضالية في مختلف البلدان، يعمل لصالح التنظيمات التي تمول المقاومة الفلسطينية، والدليل في هذا المقطع: "... ولا يخفي علاقاته ببعض الشخصيات السياسية والمناضلة في مختلف البلدان، وأفهم من كلامه أنه يعمل لصالح تنظيمات تمول المقاومة الفلسطينية.. تتسرب من لسانه إشارات مقصودة عن اختراقه لعدد من التنظيمات السرية التي تعمل في مجال التهريب.."[1]. ويضاف إلى ذلك أنّه ضد المهربين.. حيث التقى عباس ببطل الرواية (زهير) في أوكرانيا، ولم يكن هذا اللقاء اعتباطيا، بل ضروريا ليصرخ في وجه زهير بمخططات سلاف _الغير_، وينزع له القناع عن شخصيتها الخادعة للإيقاع به، وجعله واع بكل ما يحيط به من مخاطر واستخبارات.فعباس يعد رمزا عن الصمود والشجاعة وفن التعامل والمثابرة، وهو شخصية فاعلة عكس شخصية سلاف التي نجدها تدعو إلى الترهيب والتهويل وتشجع على الفوضى. ومن خلال شخصية عباس حاول الكاتب أن ينقل لنا شروحات عن الجوسسة والاستخبارات، وعن كل ما يحدث في العالم من اضطرابات سياسية، كما وثق لنا الكاتب من ورائه جزءًا من الجانب الشبابي السياسي الواعي.

- أحمد وطيب:

أحمد شخصية جزائرية اغترب منذ عشر سنوات، يحضر ويغيب في الرواية، لكنَّه يعمل على تحريك الأحداث وتسييرها، إذ تجلى دوره في توعية البطل، وكشف خطورة الغربة، التي لا تماثل الوطن الأم أبدا. وحاول غرس حب الوطن وزرع الوطنية في قلب زهير خاصة والمغتربين عامة، باعتبار أنّ غيابها _الوطنية_ فيروس يمرر كل مخططات

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص110.

الهدم عبر كل المحطات بدءًا بالذات إلى محطة الوطن لقوله: "إن الوطن ليس مجرد اسم، الوطن عنوان ثقيل يجب أن تتعب في حمله وإذا خف وزنه نقصت قيمته، لذلك فأكثر الناس وطنية هم الفلاحون.. هم الذين يخدمون التراب ويسقونه بعرق جبينهم..."[1]. ويرى أحمد أنّ المغترب يبقى غريبًا مهما فعل بقوله: "أرضك في ذلك الوطن الذي تركته وكنت تكافح فيه من أجل لقمة كرامة... في نيقوسيا لا وطن لا أخ لا جار..."[2]، أما **الطيب** فهو أيضا شخصية جزائرية ظهرت في آخر الرواية، على أنّه مرافق للبطل السارد _زهير_ في الفرصة التي منحها له وطنه، وبالتالي نقول أنّ الطاهر مرابعي أدرج شخصية الطيب في متنه السردي كي يسدّ به الفجوات التي تركها غياب الشخصيات.

ومما سبق يمكننا القول إن الطاهر مرابعي عمل في روايته على اختيار أنوات كثيرة تحمل جنسيات مختلفة (جزائرية، أردنية، فلسطينية، وكذلك أخرى غربية)، ليوجه من خلالها رسالة لكل الشباب العرب عامة والجزائريين خاصة، حول الاغتراب والوطن والوطنية _الوجود_ والهوية، وذلك ليحيي ضمائرهم اللاواعية وليوقظ ضميرهم الوطني، ويزرع في دواخلهم الروح الوطنية، إذ نجد أن جميع الأناوات ألبسها الكاتب عديدًا من الدلالات السياسية والدينية والاجتماعية، ليكشف لنا عن المسكوت وينفس عن المكبوتات العميقة التي حطّمت ذاته وأرهقت ذاكرته وجعلتها منشطرة بين سراديب الوعي واللاوعي.

ثالثا: تشكلات الزمكان في الذاكرة المنشطرة:

1. المفارقات والإيقاع الزمني (الزمان):

إن العملية السردية تعتمد على عنصر الزمن الذي نقصد به "مجموعة العلاقات الزمنية، السرعة، التتابع، البعد...، بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص23.

بهما، وبين الزمن و الخطاب والمسرود والعملية السردية"[1].وقد أشار جيرار جينيت إلى قيمة الزمان وجماليته التي يفضيها على الأحداث خاصة والرواية عامة، وذلك في قوله: "من الممكن أن نقص الحكاية من دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيدا عن المكان الذي نرويها فيه، بينما قد يستحيل علينا ألا نحدد زمنها، بالنسبة إلي زمن فعل السرد أهم من تعيين مكانه"[2]. فالزمن هو الركيزة الأساسية وعمودها الفقري الذي يشدها وينسجها، إذ تطرأ على الزمن تعددات وتغيرات مختلفة لذلك ارتأينا تحديد التقسيمات الآتية:

1.1. المفارقات الزمنية:

هي: "دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأنّ القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة "[3]. ومنه فإنّ المفارقة الزمنية هي استرجاع لأحداث ماضية أو استباق لأحداث قبل وقوعها، وذلك عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة.ويمكن أن نتطرق فيها للنقاط الآتية:

1.1.1. الاسترجاع:

هو" تأجيل ذكر بعض الأحداث، أي إغفالها في حينها ثم العودة إليها بعد ذلك"[4]، بمعنى أنّ الاسترجاع هو العودة إلى الماضي واسترجاع أحداث سابقة مع الاستمرارية في الحاضر. ولقد تخلّلت رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، كثيرًا من الاسترجاعات التي تُعتبر عملية زمنية تُعبر عن الشخصيات، وتكشف لنا ما وراء السطور والجوانب الخفية التي

---

[1] جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص231.

[2] لطيف زيتوني: معجم المصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص103.

[3] جيرار جينيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وآخرون، مجلس الأعلى للثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ص47.

[4] لطيف زيتوني: معجم المصطلحات نقد الرواية، ص103.

يقصدها الكاتب، وذلك من خلال العودة إلى الذاكرة المنشطرة، ومن بين هذه الاسترجاعات نذكر: "فجأة أسترجع ذاكرتي... لقد ذهبت إلى سوريا والتقيت هناك بسلاف... تبا، كان حديثها عن الجهاد آخر ما افترقنا عليه!"[1]؛ من خلال هذا المقطع نجد الكاتب كسر التسلسل الزمني للأحداث، وذلك بجعل بطل روايته يعود إلى الذاكرة ويستحضر جزءًا من حياته مع سلاف في سوريا، وهو الجزء الدفين في خزانة اللاوعي...، إذ يعد هذا الاسترجاع علامة دالة على فرار السارد البطل من واقعه الأليم وذلك بربط حاضره بماضيه ليشاركنا آلامه، ويضيء لنا الجانب الخفي من شخصية سلاف _الغير_، كما يكشف للقارئ الجوانب المظلمة للمؤامرات السياسية التي تحدث من طرف الغربيين أي طائفة من المهربين الذين يسعون إلى انتهاك حرمة العرب والمساس بكرامتهم، وظلمهم واستبدادهم.

ومن الاسترجاعات أيضا الموجودة في الرواية نجد: " تذكرت في هذه اللحظة يوما كنت فيه في قريتي، حين بدأ الناس يتحدثون عن شيخ مات في بلاد الغربة...، لكنه أوصى أصدقاءه بدفنه في مسقط رأسه"[2]، فالسارد البطل هنا يسترجع ذكريات وطنه الأم مسقط رأسه ليخرج بقرار يؤكده لكل من يوسوس له الشيطان ويقف بينه وبين وطنيته أنه مهما طال الزمن وهو بعيد عنه ويزعم أنّه لن يعود إليه مطلقًا، فسيأتي يوم ويعود محملًا على التابوت ليدفن فيه ويحتضن ترابه، إذ جاء الاسترجاع كتوثيق يحمل بقايا ذات منكسرة يتحكم فيها الجانب اللاواعي المنحصر بين الاغتراب والوحدة، التي أضحى فيها الألم سيد الموقف، أكد ذلك بقوله: "للغربة الروح والجسد وللوطن الجثث"[3].

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص80.

[2] المصدر نفسه، ص 81.

[3] المصدر نفسه، ص نفسها.

وفي مثال آخر عن الاسترجاعات نجد: "أتذكر أن أحمد أخبرني عن ساعد، قال لي بأنَّه يقيم ويعمل في قلب كييف لصالح تاجر تركي... أتوقع أني في نقطة قريبة من عنوانه..."[1]، يدل هذا الاسترجاع على أنَّه نقطة محورية في حياة زهير، وبداية لوجهته ومسيرته نحو بناء ذاته المنكسرة في بلاد جديدة _أوكرانيا_، جمعته بين شخوص عربية وغير عربية، كالعم صالح قسنطيني، عباس الفلسطيني، مرجان القبائلي...، من الذين لخّصوا له حقيقة العالم وساعدوه ونصحوه بالعودة للوطن، كما رغب الكاتب من خلاله في أن يقلب موازين الأحداث، ويملأ الفجوات التي خلفها حاضره.

2.1.1. الاستباقات:

هي"أحداث يقوم الكاتب بـ: "تقديم موعدها وإيراد خبرها قبل أن يحين زمنها في سياق الرواية"[2]، بمعنى أنّها أحداث استشرافية يعلن عنها الكاتب على لسان السارد مسبقًا، كأنَّها وقعت فعلًا، وذلك من خلال التأمل والنظر فيما هو آت، ومن أمثلة الاستباقات في رواية من يستأجر لي وطنًا؟ نذكر: "يفكر إبراهيم، بإيعاز من نظرات سلاف بأنَّ الوقت الذي سيقضيه مع يوري سيكون خطيرا ولو لم يتجاوز ساعة واحدة وأنَّه بمثابة الضغط على زناد بندقية.."[3]، يحمل هذا المقطع جملة من الأحداث التي ترتقي إلى ملامسة الواقع والحقيقة من خلال لغة الجسد التي ترتبط في الجانب الواعي المسيطر على الذاكرة المنشطرة، إذ يعتبر هذا الاستباق المتشائم منعرجا غيّر سير المتن الحكائي باستشرافه لحدث سابق لآوانه والذي تحقق مع مرور الأحداث والوقت.

كما نجد الاستباق في: "... نادل المطعم، هو مفتاح الخروج من هذه المغامرة بأقل الخسائر! النادل... هو من سيوقظ مارد الفانوس أو يسحب بساط علاء الدين"[4]. فبعدما

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص95.

[2] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص103.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص38.

[4] المصدر نفسه، ص64.

جعل الطاهر مرابعي أعصاب القارئ مشدودة ومشتتة، نجده يواصل سير أحداثه التي تتسابق مع الزمن بكل آلياته، ليكشف لنا في هذا المقطع عن الذات المنكسرة التي تمثلها شخصية زهير _إبراهيم_ الذي استبق الحدث لتوقعه بأنّ النادل هو مخرجه الوحيد ومنقذه من مغامراته التي صدمته بالحقائق الخطيرة ليكون منقذه الوحيد حتى يتفاءل بحياة أحسن، ويفرج عن ذاكرته التي جعلها تتمسك ببصيص أمل بات حقيقة فيما بعد. كما نجد الاستباق أيضا في قوله: "أجدني أتخيل نفسي أتسلق خريطة العالم.... أتخيلني مواطنا إفريقيا، قدماي أسفل الحدود النيجر ومالي، ويداي تمسكان بخيط ساحل البحر، بينما يتطلع رأسي نحو أوروبا... حتى أصل إلى حيث أنا في قبرص "[1].فبعد كل ما مر به زهير من انكسارات نجده في هذا المقطع يتأمل فيما هو قادم، ويتمسك بالحياة ويتحدى الظروف، وذلك ليلملم شتات ذاته المحطمة ويرد الاعتبار لها من خلال تفاؤله المشرق للمستقبل... فرغم كل ما مر به من ظروف قاهرة إلا أننا نجده صامدا أمام الهزات النفسية. ومما سبق ندرك أن السارد البطل أراد أن يفر من حاضره وواقعه المر باستناده على تطلعات متأرجحة بين دهاليز الوعي واللاوعي بحثًا عن الأفضل.

2.1. الإيقاع الزمني:

إذ كان الإيقاع في الشعر مصطلحًا موسيقيًا ترى أثاره على صعيد الصوت والتركيب والأعاريض والقافية، فإنه في النثر (فن القصة) له شأن آخر، يتجسد في تقنية حكائية تخلق إيحاء عند المرويّ له، إذ تطلَق عليه مصطلحات متعددة مثل: سرعة النص، الحركة السردية، الديمومة والمدة، التبطيء دائما[2]. ومن هنا فإنّ الإيقاع الزمني يقوم على وتيرتين: الوتيرة البطيئة (الوقفة، المشهد) والسريعة (الخلاصة، الحذف)، وذلك ليزيد

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص74.

[2] ينظر: شروق خماس حسن: "الإيقاع الزمني في ثلاثية أحلام مستغانمي"، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع75، جامعة ديالى، بعقوبة، العراق، 2018م، ص529/528.

الكاتب من قوة الأحداث ويضفي عليها ملمحًا جماليًا، وسنقف وقفة مستطلعة على هذه المحطات في رواية من يستأجر لي وطنًا؟ كالآتي:

1.2.1. تسريع الحكي:

"إن مقتضيات تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكي تفرض بعض الأحيان على السارد أن يعمد إلى تقديم بعض الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية ضمن حيز نصي ضيق من مساحة الحكي"[1]. وذلك باعتماده على تقنيتي: الحذف والخلاصة.

- الحذف (القطع):

هو: "تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها، ويكتفى عادة بالقول مثلا: "مرت سنتان" أو "وانقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته"... ويسمى هذا قطعا، ويتضح في هذين المثالين بالذات أن القطع إما أن يكون محددا أو غير محدد"[2]. وللحذف أنواع لكن سنقتصر على أهمها:

-الحذف الصريح:

وينقسم بدوره إلى:

-الحذف المحدد:

ويعني: " تحديد الكاتب للفترة الزمنية المحذوفة بشكل صريح، لأنَّها بعيدة عن الحكي ولا يهم ما وقع فيها من أحداث، يعمل الروائي على تجاوزها وتحديد زمنها بشكل

[1] أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص283/284.

[2] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص77.

دقيق لتتميز عن مقاطع الحكي الأخرى"[1]. ويتمثل الحذف المحدد في رواية "من يستأجر لي وطنا؟" في الأمثلة الآتية: "كانت ترسل لي صورها الفاتنة منذ أربع سنوات لا يمكن أن تكون من تنظيم القاعدة المتشددة إلا إذا كانت تبيع خدماتها له، وحينها يكون دينها المال"[2]. عمل الطاهر مرابعي في هذا المقطع على حذف فترة زمنية قدرت بأربع سنوات، وهي فترة لا يعلم القارئ عنها شيئًا سوى أن زهير كان يعرف سلاف وذلك من خلال قوله: (كانت ترسل لي صورها منذ أربع سنوات...)، حيث أظهر لنا السارد البطل من وراء هذا الحذف العلاقة القائمة بين ذاته وذكرياته لينتقي لنا الأحداث الأساسية والمرتبطة بمضمون الحكاية، ويغيّب الأحداث الأخرى التي تشتت القارئ استنادا على الاسترجاع الزمني.

كما يتجلى الحذف المحدد أيضا في قول زهير: "يمضي المساء ونقضي معظم الليل في الحديث عن الوطن نجوب كل أقاليمه من الشرق إلى الغرب.. تتفلسف في كل المجالات، من السياسة إلى الاقتصاد إلى الفن..."[3]، نجد السارد هنا حذف فترة زمنية قصيرة وهي (المساء)، وبما أنها فترة قصيرة نجده لم يتجاوز الكثير من الأحداث، بل حذف أحداثا بعيدة كل البعد عن المتن الحكائي، ليسرّع الحكي ويقفز نحو حدث وزمن مهم وهو (الليل) الذي قضته شخصيات روايته تحت سماء الغربة بالحديث عن وطنهم والنقاش في جميع الأمور السياسية، والاقتصادية...، وأهم القضايا الراهنة التي مسّت الوطن، وبالتالي نذكر أن السارد سرّع الحكي وسرّع ذاكرته في الآن نفسه ليسبح في دهاليز ماضيه المؤلم التي هيجت آلامه وحركت مشاعره.

---

[1] ربيعة بدري: " البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغر "، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الآداب واللغة العربية، إشراف رحيمة شيتر، تخصص السرديات، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014م، ص243.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص58/57.

[3] المصدر نفسه، ص100.

-الحذف غير المحدد:

يقصد به "عدم الإشارة إلى الفترة الزمنية المحذوفة صراحة، أي عدم تحديد الزمن المقصيّ من الحكي بدقة "[1]، أي هو حذف لا يصرّح فيه السارد بالفترة المحذوفة بشكل صريح و واضح، ومن أمثلة ذلك في الرواية التي نحن بصدد دراستها نذكر: " فترة طويلة مرت على تواجدي في أوكرانيا، بدأت أشعر بأن الطريق مسدود ولا بادرة تلوح في الأفق، شحّ كبير في العمل وتردّ في الاقتصاد، آن أوان تقييم مساري إلى أين وصل..."[2]، فالسارد هنا قام بحذف فترة غير محددة من حياة بطل روايته، وهي فترة لا يريد أن يعلم القارئ بمدتها لأنَّه لا تهمه، ولا تؤثر في المتن الحكائي، بل الذي يهمه هنا هو القفز على زمن الواقع والكشف عن آلام الذات التي يعانى منها زهير، حتى يبيّن لنا التناغم الموجود بين الوعي والزمن من جهة، وبين الذات والموضوع الرئيسي المتمثل في (الغربة عن الوطن) من جهة أخرى، وهو الأمر الذي أصبح قضية باطنية تلامسها الذات الواعية.

كما يتجلى الحذف غير المحدد في قوله أيضا: " تتوالى علينا صباحات وأيام ونحن نزداد ثقة وقربا من بعضنا، يغيب فيها كثيرا، ونلتقي فيها أكثر.. تحط كل أسئلته في الجزائر، بينما أنبش في ماضيه بحثا عن مفاتيح النجاح، وتعقبا لمكامن الخلل التي أردته مشردا بينما يستمر في التمسك برأي واحد، هو ضرورة عودتي إلى الوطن"[3]. نجد السارد هنا حذف فترة زمنية، لكن لم يحدّدها بدقة، وكل ما ذكر منها (صباحات، وأيام) نظرًا لعدم أهمية الأحداث فيها، فعمد من خلال هذا المقطع إلى سد ثغرات الحكي ليجعل القارئ يفهم النص بسهولة وسلاسة، كما أسهم في جعل بطل روايته يتجول بين محطتي

[1] ربيعة بدري: " البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغر"، ص 244.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص112.

[3] المصدر نفسه، ص112.

الوعي واللاوعي استنادا على ذاكرته الواعية باحثًا عن مفاتيح النجاح، وكاشفًا عن جوانب الخلل التي جعلته مُشرّدًا في ديار الغربة. مُقتنعًا في نهايتها بالعودة إلى للوطن.

-الخلاصة:

هي: " السرد في بضع فقرات، أو بضع صفحات لعدة أيام، أو شهور، أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال"[1].ولها نوعان: خلاصة محددة، وخلاصة غير محددة، لكن في دراستنا سنقتصر على نوع واحد وهو الخلاصة المحددة.

-الخلاصة المحددة:

هي الخلاصة التي "تكون فيها الأحداث الملخّصة محددة زمنيًا وبشكل واضح وصريح"[2].أي هي خلاصة لأحداث ماضية دون ذكر التفاصيل الهامشية وغير المهمة، ومما ورد في النص نذكر: "النجاح الوحيد في وطني هو نجاح جيل الثورة، حارب الاستعمار الفرنسي وأخرجه راغم الأنف، وبعد هذا الإنجاز ماتت كل محاولات الإبداع.. بعد الاستقلال عاش الجيل الأول من الشباب عصره الذهبي، فكانت جذوة الروح الوطنية ملتهبة... كان شباب سنوات السبعينات يختار العمل الذي يعجبه، فينتقل بين عملين أو ثلاثة في اليوم الواحد ويفاضل بينها ليحدد أيها يستقر فيه... وجاء جيل الثمانينيات، حيث بدأت الآفاق تضيق، إلى أن وصلت الأزمة إلى عنق الزجاجة"[3]. في هذه الخلاصة نجد لفظتي (بعد هذا الإنجاز، وبعد هذا الاستقلال)، كافية لتقديم الأحداث باختصار لفترة زمنية ماضية نلمح فيها ما يهم من أحداث معبرة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية.. والروح الوطنية الملتهبة بعد الاستقلال، فنجد السارد عاد بنا إلى الوراء ليقدم لنا ملخصا عن تلك الأوضاع الرفاهية السالفة، التي تغيّرت مع قدوم جيل الثمانينيات، فهذا التغيير أحدث فجوة كبيرة في حياة الفرد، الذي أصبح يبحث عن حياته ورفاهيته وكينونته في

[1] جيرار جينيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص109.

[2] ربيعة بدري: البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغر"، ص 238.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص69/68.

عالم آخر. لذا كانت عودة السارد للماضي ومقارنته مع حاضره الأليم أداة تربط بين الوعي واللاوعي، الكفيلان بترجمة انفعالاته ومكبوتاته الدفينة. كما نذكر أيضا: " تعرفت على فتاة أردنية وأنا في الجزائر عن طريق الفيسبوك، وطيلة أربع سنوات كنا نتحدث يوميا، دون أن تكون بيننا أي علاقة عاطفية، وذات يوم طلبت مني أن أسافر إلى قبرص لنلتقي فيها، ووعدتني بأنّي سأعيش حياة أفضل هناك، فسافرت والتقينا، ولكن بعد فترة قصيرة كشفت لي سرا... وهي تقول بأن الجهاد يبدأ داخل الدول المسلمة من أجل إعادة المجد وتصحيح المسار وبعدها يأتي دور الجهاد في الكفار"[1]. يمكننا القول بأنّ هذا السياق الحكائي، لخّص السارد من خلاله أحداثًا ماضية دون ذكر التفاصيل الدقيقة، بل اكتفى بذكر ما هو مهم وخادم لنصّه ألا وهو حقيقة سلاف الخطيرة التي استدرجت من خلالها زهير إلى الغربة وأرادت أن توقعه في شباكها وتقنعه بفكرة الجهاد، وبهذا نجده وضع قارئه في الصورة المناسبة، ووضح له مجريات الأحداث، وذلك من خلال ملامسة السارد للذاكرة ووقوفه على عتبات الماضي، كما رصد له مختلف الجوانب المضمرة وخفف من صدماته وتشتته.وبالتالي فإنَّ تقنيتي الحذف والخلاصة لهما صلة وثيقة بالاسترجاع الزمني، حيث أراد الكاتب من ورائهما أن يسرع الحكي ويتجاوز التفاصيل الجانبية غير الخادمة لنصه وذلك من أجل أن يضع قارئه في الصورة، ويكون على دراية بتلك الفترة وما حدث فيها.

2.2.1. تبطيء الحكي:

يتجلى في أن "تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكي تفرض على السارد في بعض الأحيان، أن يتمهل في تقديم الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية قصيرة ضمن حيز نصي واسع من مساحة الحكي "[2]، فتبطيء الحكي عكس ذلك، فلا بدّ

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص117.

[2] أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص309.

على السارد أن يقدم أحداثا روائية بطريقة بطيئة، معتمدا في ذلك على تقنيتي: (الوقفة، المشهد).

-الوقفة:

" تكون في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية وتعطيل حركتها، غير أن الوصف باعتباره استراحة وتوقفا زمنيا قد يفقد هذه الصفة عندما يلجأ الأبطال أنفسهم إلى التأمل..."[1]، بمعنى أنّ السارد يستمر في عملية إبطاء الحكي حتى يتوقف من خلال الوقفة (الوصف)، وهذا ما نجده واضحًا في رواية " من يستأجر لي وطنا؟"، كقول السارد: "صاحب البنية القوية والعضلات المفتولة يلوّح من نافذة سيارته، تدرك بمجرد رؤيته أنه واحد من رجال مجنون آخر يقود العصابة... ملامح يوري لا تعطي الانطباع بأنّه الرئيس.."[2].قبل هذا القول كانت الأحداث تسير على خط زمني مستقيم ومتقدم نحو الأمام، وفجأة انعرجت وتعطلت سيرورة الأحداث، وذلك من خلال وصف السارد لشخصية يوري، وتقديمها للقارئ لكي يتعرف عليها. بحيث يرمي الكاتب من وراء هذا الوصف إلى الكشف عن البنية والمظهر الخارجي لتجار الأسلحة وبأن سمة الخطورة بادية على وجوههم.

كما نجد الوقفة في قوله: " تنفجر خريطة قبرص بين عينيك أمام كلمة الوطن... فاسحة المجال لمشاهدة في شوارع سطيف، من الشمينو إلى بومرشي إلى صامو... تسمع أصوات الشباب الباعة في أسواق العلمة الراقية وهم يعرضون سلعهم على حافة الطريق للمارة، يزداد جبل تيلة في قنزات شموخا في نفسك، تتألق عندك مناظر ولبان

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص77.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص38.

الخلابة في بني عزيز.."[1]. يتّضح هنا أنّ الكاتب وقّف الحكي ليصف لنا ولاية سطيف وشوارعها الرائعة، ويشاركنا مشاهد من ولايته العزيزة التي تحتل ذاكرته، من خلال بطل روايته (زهير)، جاعلا من هذا الوصف جسرا للهروب من واقع قبرص الخطير والمفخخ. كما أراد أن يوضح لنا خطورة البعد عن الوطن، ويشاركنا شعور البطل بتذكره لوطنه كقوله: " يتعاظم خطر بعدك عن الوطن، ويشد لهيب الحرقة إليه..."[2].

كما تتجسد الوقفة الوصفية في قوله: " في صحراء غرداية التي زرتها مرة، حيث قطعان الجمال وواحات النخيل الممتدة... بيئة الرمال والصخر والحر الشديد.."[3]. بعدما كان السارد البطل يحكي لنا عن لقائه بالعم صالح قصد تقييم مساره وتوضيح فكرة الوطن وخطورة البعد عنه، نجده فجأة وقّف السرد و الحكي وجعله بطيئًا بوصفه لصحراء غرداية ومشاركة قارئه جمالها ورمالها، مستندا في ذلك على أرشيف ذكرياته السعيدة ليقارن بين الطبيعة الجزائرية الصحراوية وبين الطبيعة الأوكرانية وهذا ما عكسه المقطع الآتي: "... فشلت في تركيب الصورة، فأعدت تأثيث مشهد الصحراء بعناصره، وتركت لصورة الطبيعة الأوكرانية عناصرها، فشعرت بالراحة واقتنعت بأن المشهد مكتمل وأي عمليات تجميل ستشوهه وتتسبب له في أعراض وأمراض خطيرة"[4].

فالكاتب اعتمد على الوقفة الوصفية في بعض مقاطع روايته ليكشف لنا عن كثير من الدلالات ذات الأبعاد الاجتماعية والنفسية التي رمّمت خدوش ذاكرة السارد والشخصيات على حد سواء

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص113.

[4] المصدر نفسه، ص113/ 114.

-المشهد:

يقول حميد لحمداني عن المشهد بأنَّه: " المقطع الحواري الذي يأتي في الكثير من الروايات في تضاعيف السرد"[1]، كما يضيف قائلًا: " هو أقرب المقاطع الروائية إلى التطابق مع الحوار في القصة بحيث يصعب علينا دائما أن نصفه بأنه بطيء أو سريع أو متوقف"[2].ونلمس هذه التقنية في رواية من يستأجر لي وطنا؟ بشكل كبير خاصة في الحوار الخارجي الذي شغل الحيز بأكمله في الرواية، ومن أمثلة ذلك نجد:

عند لقاء زهير بنوزاد قام حوارٌ بينهما كالآتي:

"_ سعيد بلقائك.. هل يمكنني أن أعرف اسمك؟

_ يمكنك مناداتي نوزاد، تفضل بالجلوس.

_ شكرا نوزاد.. أنا إبراهيم، سررت بلقائك مرة أخرى، لكن اعذرني، فأسماء الأطباق التي بين يدي غريبة عني.. لا أستطيع معرفة مكونات الطبق وطريقة طبخه من اسمه، هل يمكن أن تساعدني، وتشرح لي؟

_ أكيد، هل يمكنني أن أعرف بلادك بعد إذنك؟

_ نعم أنا من الجزائر.

_يا أهلا.. بلاد الثورة والشهداء، وطن الرجال، هذا شرف لي.. لا يوجد في أطباقنا شيء غريب، تختلف فقط في شكل الطبق، نحن نتقاسم ثقافة غذائية متقاربة.."[3].

كما تظهر أيضا في قوله:

"- كيف وصلت إليك هذه الأوراق في قبرص؟

---

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص78.

[2] المرجع نفسه: ص نفسها.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص50.

– كنت في أفغانستان قبل سنوات!..

– ماذا كنت تفعلين هناك ومع من؟

– لا.. لم أكذبك.

– ولكنك لم تصدقني.

– هو كذلك، الأمر لا يهمني.. مجرد فوضى عابرة، سحابة صيف وإن دامت سنوات..

– هل يمكنك أنه تتحدثي في موضوع آخر جاد؟

– الموضوع جاد، هذا موضوعنا.

– كيف تقبلك القاعدة وأنت بهذا اللباس وهذا التفتح؟

– سأحكي لك اليوم كل شيء..."[1]

إضافة إلى قوله:

_" إبراهيم.. يا أهلا بك.. استعجلت الخروج من العمل اليوم. لأني كنت متأكدا من مجيئك، أنت تحترم المواعيد..

– كيف لي أن أفوّت فرصة اللقاء بك يا نوزاد؟.. هذه واقعة تشبه ظاهرة الخسوف والكسوف، لا تحدث إلا مرات نادرة، فلا تتعجب أن تترقب نوادر الشمس والقمر..

– هل أنت شاعر؟

– لا.. لم تفكر نحوي بهذه الصورة؟

– أسلوبك يخترق القلب.. تبدو متعودا على الغزل؟

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟،ص58.

– أي غزل يا حبيبي؟ في الوطن العربي تقضي عمرك وأنت تجري وراء لقمة العيش هذه.. الغزل مضيعة للوقت، أو إن شئت قل إن الوقت لا يسمح باللطف والمرح.

– تبدو حزينا!

– بل أنا هو الحزن.. إذ لم تره في شكل واضح فانظر إليه في وجهي..

يضحك نوزاد..

– هل مثلت على خشبة المسرح أو في تلفزيون من قبل؟

– الوطن العربي أكبر مسرح مفتوح على الهواء الطلق.. شعوبنا تؤدي أدوار العبودية بالفطرة.."[1]. وغيرها من الأمثلة الموجودة في الرواية.

هذه بعض الحوارات التي أثَّث من خلالها الطاهر مرابعي أحداث روايته إذ نجدها استغلت مساحة واسعة من النص، تغلب عليها سمة الطول، وقد كانت في مجملها تدور بين السارد البطل زهير الذي يمثل الشخصية المحورية، وبين الشخصيات الأخرى المشتركة في الرواية، وبالرغم من أنها تعمل على تبطيء الحكي وتشتغل على تأكيد سيرورة الزمن المنقطع، إلا أنها تدفع بالحدث إلى الأمام، وتمكن القارئ من فهم المتن الحكائي ومعرفة ما يريد الكاتب تبليغه من وراء هذه الحوارات. وهنا نقول إنَّ الطاهر مرابعي من خلال لجوئه لتقنية المشهد _ الحوار _ تظهر حاجته الضرورية التي أصبحت تتماشى مع الذاكرة المنشطرة، ليؤكد من ورائها كل التفاصيل السردية التي تمكن القارئ من التغلغل في أعماق الذات، ومعرفة ما يدور بين الشخصيات من كلام وأحداث ومعلومات يكمل بها الحدث السردي.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص65/64.

2. المكان بين الحرية والقيد:

يعتبر المكان من العناصر المهمة التي يبنى عليها المتن الحكائي، فهو بنية أساسية تكشف لنا عن المواقع التي تجري فيها الأحداث، إذ "يساهم في خلق المعنى داخل الرواية"[1]، فنجد المكان في رواية "من يستأجر لي وطنا؟" عبارة عن أداة تربط بين الشخصيات والزمان والأحداث ويجعلها متصلة ببعضها البعض، نظرا لما يكتسيه من خصوصيات تسعى للإحاطة بمختلف الجوانب والأحداث والإشكاليات، وذلك بفضل تنوعاته التي زادت من عنفوان الدلالة. فنلاحظ أن الطاهر مرابعي جعل شخصياته تتأرجح بين ثنائية الحرية والقيد؛ أي تنحصر بين أماكن اختيارية وأخرى إجبارية تحتم على الأناوات الانسياق والنزوح إليها، إذ أنّ المكان هو آلية ساعدت الكاتب على التعمق في موضوعه الرئيس، كما أصبحت بالنسبة له متنفَّسا لمكبوتاته وآلامه وانكساراته التي ترسخت في ذاكرته المنشطرة.

1.2. الأماكن الإجبارية:

تعتبر الأماكن الإجبارية داخل الرواية من أبرز العناصر التي أكدت لنا على التناغم الموجود بين ذات السارد والموضوع الرئيسي المتمثل في الوطنية والوطن والكشف عن مختلف الأوضاع. إذ أراد السارد من جعل المتلقي يغوص داخل مجريات الأحداث، ويشتت أفكاره ويجعلها أكثر تعقيدا؛ حيث عبر لنا من ورائها عن الشخصيات التي تعاني من شتات نفسي، والمنحصرة بين ثلاثية: (الألم، الوحدة، الاغتراب)، هذه الثلاثية التي جعلت شخصيات الشخصيات تتصاع وراء قرارات إجبارية كي تلملم ذاتها وتتطلع إلى غد مشرق ومتفائل، ومن أبرز هذه الأماكن نذكر:

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص70.

- **الوطن (سطيف):**

وظف الكاتب لفظة الوطن في روايته، بحيث نجدها نالت النصيب الأكبر في الحضور، باعتباره مكانًا واسعًا ومفتوحًا يحدد لنا انتماء وهوية البطل الذي كان حاضرا بقوة في وجدانه، وهو من الأماكن المنتجة للأحداث والمرتبطة بفعل الشخصية. فمن الأمثلة الواردة فيها لفظة الوطن في النص نذكر: "أهلا بسطيف العالي أهلا بعين فوارة"[1]، وكذلك " الوطن ليس مجرد اسم.. الوطن عنوان ثقيل يجب أن تتعب في حمله..."[2]، بالإضافة إلى: "أرضك في ذلك الوطن الذي تركته وكنت تكافح فيه من أجل لقمة كرامة..."[3]. كما نجد: " خطوات قليلة وندخل وطنك من جديد... وطن يطاردك خارج حدوده... أنت لم تهرب من التراب.. لم تهرب من وديان وأشجار الجزائر..."[4].

من خلال هذه الأمثلة يتضح أنّ البطل كان مجبورا على ترك وطنه ليبحث عن وطنيته وكينونته ولقمة عيش يسكت بهما جوعه وكرامته، متأملا في مستقبله، وفي حياته التي تركها خلفه بما فيها من ذكريات، إذ أصبح الوطن مكانا مغلقًا وضيقًا بالنسبة للبطل **زهير**، وذلك راجع لفقدان قيمته الحقيقية التي تعبر عن الهوية والانتماء، وهذا الأمر _ فقدان الهوية والانتماء _ هو الذي أجبر زهير على ترك وطنه واللجوء إلى الآخر الذي يناقض الأنا، و جعله ينصاع وراء أوامر العقل اللاواعي و ذلك بتقييده بالانفعالات النفسية، وعليه فإنّ هذا المكان يوحي إلى التنقل التعسفي الممارس على شخصية زهير الذي أوصله إلى نقطة انهيارية عبّر من خلالها الكاتب عن اللااستقرار الذي يعاني منه المواطن العربي والجزائري خاصة زهير الذي يسعى للتطلع إلى غدٍ أفضل والتنفيس عن

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر ليوطنا؟، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

[4] المصدر نفسه، ص15.

ذاته والالمام بذاكرته المنشطرة.ومما سبق يتضح أن هذا المكان (الوطن "سطيف") شغل حيز الأنا في مناقضته للآخر.

- قبرص (نيقوسيا):

جاءت قبرص في الرواية كبنية مكانية صنفها الكاتب في قائمة الأماكن الإجبارية، وجعلها في آن واحد تأخذ منحى آخر، وتبوب ضمن الأماكن الاختيارية التي لجأ إليها زهير و الشخصيات الأخرى، وذلك نتيجة لحتمية البحث عن المستقبل والحياة والكينونة، التي جعلت هذا المكان مفتوحًا بالنسبة لزهير،إذ أنَّ الكاتب الطاهر مرابعي جعل هذا المكان ينحصر بين ثنائية الجبر والاختيار لإحياء الوعي وتوثيق الأحداث التي تضع القارئ في الصورة الحقيقية لمعنى الغربة ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك في الرواية نذكر: "بالمناسبة، لماذا وافقت على المجيء إلى قبرص؟ هل فكرت في الموضوع؟"[1]، ليقول في موضع آخر: " أرضك في ذلك الوطن الذي تركته وكنت تكافح فيه من أجل لقمة كرامة.. في نيقوسيا لا وطن لك"[2].

وبالتالي فإنَّ الكاتب جعل بطل الرواية مجبورًا على أن يختار هذا المكان ويترك خلفه وطنه، ليحرك مشاعره المكبوتة ويظهر معاناته من خلال اكتشافه للحقائق والاختلافات الموجودة بينه وبين سلاف _الآخر_ التي تناقض الشرع والأخلاق.

فبالرغم من تغرب زهير عن وطنه الأم إلا أنّنا نجد روح الوطن يتجذر في أعماقه ولم يفارق مخيلته أبدا في قوله: "حب الوطن يحيا في قلوبنا حين نبتعد عنه.. عندما نفقد الشيء نعرف قيمته، الوطن بالنسبة لي شيء مفقود في هذه اللحظة"[3]. مما سبق يتضح أنّ المكان(قبرص) شغل حيز الآخر في خبورته ومناقضته للأنا.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 28.

- **المطار:**

يمثل هذا المكان داخل الرواية جزءا مهما، باعتباره الانطلاقة الرسمية لعملية الحكي، إذ يمثل نقطة انطلاق ووصول تربط لنا بين مكانين (الوطن (سطيف)/ قبرص)، كما يعتبر نقطة التقاء بين البطل زهير وسلاف وبداية لمسيرته المجهولة، وفي هذا الصدد يقول زهير: "ثوان بعد هبوط الطائرة ونزولي منها، تستدرجني نظرات شقراء تقف خلف زجاج مبنى المطار.. أجر حقيبتي، وتتملكني قناعة بأحد أمرين؛ إما أن يكون مكاني داخل الحقيبة أو أن سلاف هي حملي في الحقيبة...، حيث ترقد خيبات كثيرة ماتت قبل أن ترتوي بندى خصلات أوراق القمح الذي زرعه الأمريكيون، واندثر العرب دون أن يتمكنوا من طحن حبه.."[1].

فمن خلال هذا المكان رصد لنا الروائي على لسان زهير خيبة العرب واضطهادهم من طرف الغرب، كما يتبين لنا من أول وهلة أنّ المطار هو مركز الألم الذي سيتجرعه زهير والضياع الذي ينتظره في غربته، إذ نجد زهير لا يعرف معنى التفاؤل والفرح عند نظرته لسلاف، بل دب في نفسه الحزن والتشاؤم الذي سيطر عليه وجعله يدرك بعده عن وطنه وعائلته ويستحضر ذكرياته الماضية، ليشكل لنا صورة توثيقية واعية مستوحاة من ذاكرة مرتوية من الماضي الأليم.

- **سوريا:**

هي مكان مفتوح ودولة عربية، وظفها الكاتب في روايته، وجعل بطلها مجبورا على الذهاب إليها بأمر من سلاف للعمل فيها، وذلك في قوله: "وجهتك ستكون سوريا في غضون أقل من أسبوع..."[2]، ومنه فإنّ سوريا جاءت في الرواية كمكان للعمل، كما أراد الكاتب أن يكشف من خلال هذا التوظيف عن الأمور الخطيرة والجهادية التي يُمارسها

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 08.

[2] المصدر نفسه، ص42.

الغرب على الدول العربية. إذ نجد في الرواية أن سوريا تتمتع بالأمان والأمن والراحة والطمأنينة، في قوله: " تمضي ليلة بأمنها وأمانها في كنف مهد الأمويين"[1]، ويضيف قائلًا: "عد إلى غرفتك في النزل... دمشق تمنحك هذا الوطن الصغير..."[2].وبالتالي فإنّ سوريا منحت زهير وطنا صغيرا وآمنا، عكس قبرص التي لم تمنحه لا وطنا ولا أمنا، ومن هنا أراد الكاتب أن يجعل بطله يقارن بين أجواء دمشق وقبرص ويتراجع عن فكرة الاغتراب، ويؤكد له بأنّ الغربة لا تمنحه إلا الضياع وعدم الراحة، إذ إنّ هذا المكان ألبسه الكاتب دلالات عكست لنا حتمية تذكّر زهير وطنه وماضيه باعتبارها مكانا عربيا له رائحة سكنت ذاكرته، ومنه نجد الكاتب أجبر بطل متنه الحكائي على الذهاب إلى سوريا ليوضّح له ولأمثاله عن ما سلبه الآخر منهم، وذلك من خلال جملة من الايماءات التي تسعى إلى توثيق الأحداث وإحياء الوعي، كما نجد السارد استغل إجبارية ذهاب ومكوث زهير في سوريا لسد الفجوات النفسية الذاتية.

2.2. الأماكن الاختيارية:

تعبّر هذه الأماكن عن انتقال الشخصيات بكل أريحية من مكان إلى آخر دون تقييد، حاملة معها انكساراتها وتغيراتها، ليصبح كل ركن من هذه الأماكن صورة معبرة عن الموضوعات الموثقة في نفسية الكاتب، إذ أنّ مثول هذه الأماكن أمام الشخصيات الروائية، يؤكد لنا التناغم والتماثل الموجود بين الذوات والأحداث التي تتخللها الرواية، ومن بين هذه الأماكن نذكر:

- **المطعم:**

هو إطار مكاني تتحرك فيه مجموعة من الشخصيات، إذ يشكل دورا مهما في قلب أحداث الرواية، وتغيير الحالة النفسية للبطل والأناوات الأخرى وذلك من خلال التنفيس

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

عن همومهم ومكبوتاتهم واشتياقهم لوطنهم. كما يعتبر من الأماكن الاختيارية التي تتنقل فيها الشخصيات بكل أريحية. وتظهر كلمة المطعم في النص في قوله: "يوقف أحمد السيارة أمام مطعم شعبي"[1]، وكذلك نجدها في قوله: "يأخذ لنفسه زاوية في مطعم مشاوي أبو ليلى... عادات فطور الصباح هنا تختلف عن عادات الفطور في الجزائر سيكون الرغيف التقليدي وزيت الزيتون حاضرين على الطاولة..."[2]، ويضيف قائلا: "أتحرك مستعجلا نحو المطعم...، لحسن الحظ، هو أول شخص ألتقي به في الداخل..."[3]. ومن الأمثلة السابقة يتضح أنّ المطعم مكان ساعد في سيرورة الأحداث، وذلك باعتباره مكانا التقى فيه البطل مع أحمد ونوزاد السوري الذي ساعده في الخروج من مغامرته والسفر نحو بلاد جديدة ليفرج عن ذاكرته المنشطرة التي عانت من انكسارات جراء الحقائق الصادمة، فالمطعم جاء في هذه الرواية كأرضية حاضنة للأحداث، تعمل على تذكير زهير بوطنه وهو في أرض الغربة.

- مكتب سلاف:

هو مكان مغلق وحاضن للأحداث، اختارته سلاف لتكشف لزهير عن كل ما هو مدفون ومسكوت عنه، وأن توقعه في شباكها وتستدرجه للعمل معها في المنظمة الجهادية، في قولها: "سنتوجه إلى مكتبي.. هناك ستعرف"[4]، ويعود اختيار الكاتب للمكتب كمكان للكشف عن المطمور، باعتباره مكانا للعمل يحفظ ويحتضن الأسرار، لذلك نجد هذا الاختيار ناتجا عن طبيعة المكان نفسه، الذي ألبسه الكاتب حركة أكدت لنا الصراع بين الأنا _زهير_ والآخر _سلاف_.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص50.

[4] المصدر نفسه، ص54.

- الغرفة:

هي مكان مغلق، اختارتها سلاف ليقيم بها زهير وهو في الغربة، إذ نجد أن الغرفة بطبيعتها تدل على الطمأنينة والراحة والأمان، لكن في هذه الرواية ألبسها الكاتب دلالة مناقضة لطبيعتها بعد أن جاءت ترتبط بالكآبة وعدم الطمأنينة والخوف والضيق، وهذا ما شعر به زهير في غرفته وهو في الغربة ودليل ذلك في قوله: "دعتني الإيطالية.. إلى دخول غرفة النوم للراحة... هل توجد كاميرا جوسسة داخل الغرفة؟ من يمكن أن يتجسس علي في غرفة النوم؟"[1]، ووردت كلمة الغرفة أيضا في قوله: "عد إلى غرفتك في النزل.. دمشق تمنحك هذا الوطن الصغير قبل أن تعود إلى وطنك.."[2].حيث يتضح من خلال هذا المقطع أنّ المغترب لا يشعر بالأمان ولا بالراحة التي كان يشعر بها وهو في وطنه، إذ نجد أنّ الكاتب ربط أمن وأمان الغرفة بدمشق، باعتبارها مكانا عربيا له رائحة سكنت ذاكرة زهير وذكّرته بوطنه الحبيب، نظرًا لما يحمله من سكينة وراحة وسلام وأمان، ومنه فإنَّ هذا الربط ليس اعتباطيًّا بل استثنائي ليوضّح من خلاله الكاتب عن الاختلاف الموجود بين غرف الآخر والأنا_الغرب والعرب _.

- الشارع:

مكان مفتوح أورده الكاتب بكثرة في روايته إذ يحمل دلالة واسعة، وقد ذكرت كلمة الشارع في قول زهير: "رغم أني أعلم بأن مرجان لا يعرف عن أوكرانيا شيئا عدا الشارع الرئيسي الذي يربط المدينة بمقر سكنه.. حتى لا نتوه"[3]. وكذلك نجده في قوله: "تنفجر خريطة قبرص بين عينيك أمام كلمة وطن، وتغرق شوارع نيقوسيا ومبانيها واحد تلو الآخر، فاسحة المجال لمشاهد في شوارع سطيف؛ من الشمينو إلى بومرشي إلى

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص 103/102.

صامو..."[1]، حيث نجد الشارع هنا يحمل دلالة مناقضة لطبيعته، بعد أن جاء مرتبطا بالغربة وضيق الحركة والخوف وعدم الاطمئنان، باعتباره مكانا غريبا عن زهير جعله يشعر بأن شوارع قبرص لا تمنح له الراحة التي كان يتمتع بها في شوارع وطنه الحبيب، وذلك من خلال استرجاعه لمشاهد ظلت راسخة في ذاكرته.

- **الحديقة:**

قد حضرت الحديقة في رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، مرتين فقط كمكان مفتوح في قوله: "أجلس بعيدا عن المطعم في حديقة عامة، أشرع في التحضير لمقابلة النادل..."[2]، كما نجدها في مقطع آخر وهو: "نجلس في كرسي داخل حديقة كنا نمر بها وأنا أجيبه..."[3]، فالحديقة ظهرت في الرواية مكان جمع بين زهير والعم صالح القسنطيني الذي نصحه بالعودة للوطن. فهو حدث مهم سيطر على أجواء الرواية، وقلب مجريات الأحداث. ومنه فإنّ الحديقة هي مكان منتج للأحداث باعتبارها أضفت منحى آخر للرواية.

- **المسجد:**

هو مكان ديني يحتوي على السلام والأمان، ودار للعبادة، وقد جاءت لفظة المسجد في النص في أسطر قليلة في قوله: "... تحية السلام والأمان تمتد إلى داخل المسجد"[4]، فمن هنا فالمسجد يحمل صورة إيجابية، إذ تم إبرازه كمكان للصلوات والتقاء الناس فيه، فبالرغم من توظيف الكاتب للفظة المسجد بشكل قليل إلا أنها تحمل دلالة كبيرة وواسعة تتمثل في بث الأمن والسلام والأمان التي يتمتع بها المسجد راغبا في انتشارها في البلد

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص105.

[4] المصدر نفسه، ص77.

ليصبح آمنا مثله، كما أراد من خلاله أن يعرف بركن أساسي في الإسلام ألا وهو الصلاة.

- **أوكرانيا:**

يعد شعور زهير بالقلق والتوتر والضياع والخطورة الذين يحومون حوله وهو في قبرص، دفعه لاختيار دولة جديدة وهي أوكرانيا للهروب من تلك الأرض عامة وسلاف خاصة، ليرتب صفوف ذاكرته. ومن المقاطع التي جاءت حاملة للفظة أوكرانيا نذكر: "أنت في أوكرانيا وتحتاج إلى المال"[1]، وكذلك نجد: "صرت أقرب إلى الجزائر من أوكرانيا وأنا في قلب عاصمتها كييف..."[2]، وغيرها من الأمثلة، وبالتالي فإنَّ أوكرانيا أضفت طابعًا جديدًا على سيرورة الأحداث وعملت على قلبها، وذلك من خلال التقاء زهير بشخصيات عربية غيرت تفكيره عن الغربة ونصحته بالعودة للوطن، كما وضحت لزهير خطورة العالم، وانتهازية الناس، وحقيقة الاغتراب ومنه فإنّ هذا المكان يعتبر منتجا للأحداث باعتباره ساعد في تماشي الرواية وقلب أحداثها إلى منحى جديد ومخالف.

3. الزمكان بين التذكر والنسيان:

تنامت أحداث رواية "**من يستأجر لي وطنا؟**"، بفضل مرجعيات صيغت في قوالب فنية، جمعت مختلف الذكريات المتعلقة بالزمان تارة وبالمكان تارة أخرى، وكلاهما يرتبطان بحالة الشخص مع ذكرياته. ولقد نتجت جراء خلفيات ساعدت على بلورة الأحداث وجعلت منها فسيفساء مشبعة بالحالة النفسية والاجتماعية للفرد، إذ أنّ الشخصية حتما ستخضع لذبذبات تجرها سهوا نحو الذكريات والتفاصيل التي تدفعنا للوقوف والتأمل في دواخلنا، فنجد أنفسنا في المنتصف نحاول استعادة ما فات من الزمان وما تركناه خلفنا في مكان ما. كما لا نغفل عن أنها صارت تجمع بين الذات والحقيقة وبين الميل للتذكر،

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص95.

[2] المصدر نفسه، ص94.

وأحيانا أخرى ينسى بعضها[1]، لذلك نجده جعل الذات الواعية سبيلا للتنفس الوهمي والزائل، كمن يزود مريضا في اللحظات الأخيرة من حياته بالقليل من الأكسجين، ومنه: فالتذكر يتجلى في استعادة المعلومات والخبرات التي سبق للفرد أن حصل عليها، كما أنه يحيي كل ما اكتسبه وتعرض له في الماضي سواء أكان لفظا أم فعلا أم حدثا، بينما النسيان يتمثل في عدم تذكر الفرد لمواقف حاسمة أو صدمات أو انطباعات حدثت معه في السابق، وقد يصل به ذلك إلى عدم القدرة على استرجاع أبسط الأشياء في حياته اليومية...، وكلاهما ظاهرة نفسية يشترك فيها الناس جميعا[2].

1.3. موضع الزمكان والنسيان:

يعد التجبر والتسلط المفروضان على النفس من أبرز النقاشات التي دفعت بالأنا الساردة للانزواء عن كل ما هو واقع وحقيقي، معبرة بذلك عن غزارة الشعور بالمعاناة الشديدة، وهنا نُلمح إلى تسلط الذات الواعية في مواجهة أحداثها الماضية المقيدة بالغفلة والموجهة لضبط العلاقة دون عمد بين الراوي وماضيه بما يحمله من أيقونات دالة على المكان والزمان، ومهما تنوعت هذه الرموز إلا أن الهدف واحد، وهو السعي نحو انتشال الذات من كل ما يعكر صفوها، ويثير حيرة ذاكرتها، ومحاولة تدبر الوقائع[3]، ومنه فإنّ الأنا تنأى بمعزل عن كل ما هو حقيقي، تنفيسا عما كتمته من شعور قاهر وشديد، وبالتالي تبتعد عن كل ما يخل بصفوتها ويزعجها. ويبرز ذلك في مستوى اللاوعي المنساب من الأنا والتي ترنو إلى التنصل من ظلمات السكوت نحو شعاع الوعي ليعزز

---

[1] ينظر: سليم سعدلي، "تشكلات الزمكان في رواية" ذاكرة معتقلة" لبلال لونيس"، مجلة بدايات، ع4، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، جوان 2021، ص27/ 28.

[2] ينظر: ياسين الحموي: الذاكرة والنسيان (نظريات واستراتيجيات وتطبيقات)، شرك نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2022م، ص32/30.

[3] ينظر: سليم سعدلي، "تشكلات الزمكان في رواية ذاكرة معتقلة لبلال لونيس"، ص28/ 29.

العلاقة بين الإحساس واللاإحساس، وبين ما تخفيه الأنا وما تبثه الحياة الفعلية[1]، الأنا تسعى للخروج من دائرة اللاوعي صوب وهج الوعي مؤكدة على أهمية العلاقة بينهما.

ومنه: "فسر علماء النفس تقليديا النسيان على أنه اختفاء للمعلومات من الذاكرة بحيث نصبح عاجزين عن التذكر، أما من الوجهة الحديثة فتشير إلى أن المعلومات لا تختفي من الذاكرة إلا أننا نفشل في استرجاعها أو التعرف عليها"[2]. ويتبين لنا من هذا القول أن هناك نسيانا كليا لا نتذكر شيئا مهما حاولنا يمس الجانب المادي الملموس والمعنوي النفسي يتعلق بالاختفاء والاسترجاع، كلاهما يبرزان حالة من النسيان التي تمس ذاكرة الانسان. ففي رواية "من يستأجر لي وطنا؟"، يظهر بوضوح بعد الكاتب عن وطنه، وصلته بذكرياته التي فقدها باغترابه وعلاقتها بالزمكان، فاتسع نطاق الشرخ النفسي الذي نجم عنه تذبذب فيما سبق فتكون ما يعرف باللامكان واللازمان، وهما يعبران عن وضعية نفسية شعورية صعبة يكتمها الراوي ويسكت عنها، وجزئيات بقيت مقيدة ومحصورة في الذاكرة، تستند على ما يتطلبه الواقع المحيط بكل تفاصيلها، لأن الحرب اليوم أصبحت أكثر ضراوة من قبل، فلم تعد مأساويتها تخلف بالسلاح وما ألفناه إبان ذلك فقط، وإنما عاثت في الأرض فسادا فكشرت عن أنيابها وافترست العقول بفظاعة، وأدمت الذاكرة واستهلكتها، إنها الحرب العلمية المخابراتية يقول عباس: "... الحرب القادمة حرب علمية مخابراتية، أما السلاح فهو لمجرّد الاستعراض أمام شعوب الوطن والشعوب الأخرى لتجنيد وعيها واحتوائه ضمن سياستها"[3].

وفي هذا السياق يقول زهير: "ثوان بعد هبوط الطائرة ونزولي منها، تستدرجني نظرات شقراء تقف خلف زجاج مبنى المطار.. أجر حقيبتي الكبيرة، وتتملكني قناعة بأحد

---

[1] ينظر: سليم سعدلي، "تشكلات الزمكان في رواية ذاكرة معتقلة لبلال لونيس"، ص29.

[2] سوسن طالب: "محاضرة النسيان" https: //elearn.univ-oran2.dz/، 10: 18، 25 أفريل2024م.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، 123.

أمرين؛ إما أن يكون مكاني داخل الحقيبة، أو أن سلاف هي حملي في الحقيبة، لأفر بها إلى مقلتي عينين كبيرتين، أخترق بهما قرونا من العزلة والصمت، تمتد من شمال إفريقيا البربرية، إلى صحاري نجد وتهامة العربية، مرورا بعنق خليج العرب، حيث ترقد خيبات كثيرة ماتت قبل أن ترتوي بندى خصلات أوراق القمح الذي زرعه الأمريكيون، واندثر العرب دون أن يتمكنوا من طحن حبه.."[1]، ويتيح هنا للقارئ فسحة ومجال للتفكير، والتأمل في الرموز والمعاني المضمرة، فهذا المقطع كأنه مدخل للحوار بين التعدد الثقافي والطريق التي لم تكن عادية فهي ممتدة ومتنوعة نتيجة العزلة والصمت إلى شعاب أخرى في العالم، مما يعكس تغير المكان وتبدل الزمان بالنسبة لزهير، فنعده انتقالا على المستويين الداخلي والخارجي، والذي يعبر عن تحولات طرأت عليه فطورته.

ليتضح بذلك النسيان في المقطع الذي يصف الخيبات، ومن فقدهم دون تحقيق ما رغبوا فيه كرمز للنسيان والشتات، كما يحتمل أن يكون نسيان جماعي ومشترك بين الذكريات أو الأحداث التاريخية والشخصية. وبالمناسبة فقد نجده يشير إلى ما يفيد في ذلك فيعرب قائلا: "تركت عمي الصالح وتوجهت نحو سكن ساعد للقاء مرجان الذي عاد من روسيا، وفي طريقي بدأت أسترجع أرشيف ذكرياتي في صحراء غرداية التي زرتها مرة، حيث قطعان الجمال وواحات النخيل الممتدة، وحاولت أن أنقل المشهد من بيئة الرمال والصخر والحر الشديد إلى بيئة التربة السوداء والجبال العالية والصقيع، فرفض عقلي تشكيل مشهد ثالث.. فشلت في تركيب الصورة، فأعدت تأثيث مشهد الصحراء بعناصره."[2]؛حاول زهير هنا إعادة بعث ذكرياته وتجاربه في صحراء غرداية الجزائرية، وذلك بعودته إلى الماضي واستعادة ذكرياته هناك.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص8.

[2] المصدر نفسه، ص113.

وبالمقابل، يظهر لنا وهو يواجه صعوبة في تجسيد مشهد ثالث غاب عن مخيلته، مبينا بذلك عجزه عن استحضار بعض التفاصيل القابعة في الذاكرة، لذا فهذه الجزئية ماهي إلا تعبير عن تجربة موضع الزمكان والنسيان عنده، ومحاولة لإحياء التجارب السابقة التي حاول تذكر بعضها، ونسيان البعض الآخر منها بصورة ملموسة ومضبوطة.

هنا يتبين أنَّ الدفقة الشعورية التي اجتاحت المبدع ترجمت كتابيا، من خلال ما أورده لنا الزمكان والشخصيات التي أسهمت في إبراز ذلك، فقدموا لنا هيكلة سردية مضبوطة كشفت لنا عن تقلبات الذات بين الانفعال والهدوء، ومنه تصاعد توتر الذات في الرواية يرتبط بالواقع الحقيقي المطلق، والخيال الذي كسر به السارد حاجز الزمكان ووصله بالذاكرة، لأن هذا هو الحل الأمثل لاستقلاليتهما وربطهما بحلقة الفترة الزمنية المنقضية. ومن هنا يتسنى لنا القول إن التذكر الذي اعتراه ما هو إلا نتاج لثنائيتي الوعي واللاوعي الخفيين، والتي كشفت عن الأماكن والأزمنة التي صعب فيها النسيان فكان التوثيق هو السيد فيها على حساب الشخصية والحدث.

2.3. موضع الزمكان والتذكر:

تشير إلى تفاعل الزمان والمكان مع ذاكرة المبدع فتخلق عنده ارتباكا نفسيا تتملكه حالة الوعي واللاوعي بسبب المشاعر التي تعتريه[1]؛ أي أن الروائي في تفاعل دائم ومستمر مع تغيرات الزمكان وعلاقته بالذاكرة.

كما يتحدث عن ذلك: "صارت الذاكرة عنصرا أساسيا لما يطلق عليه الهوية الفردية أو الجمعية، والتي يكون البحث عنها بمنزلة نشاط أساسي يبذله الأفراد والمجتمعات اليوم، في غمرة الحمى والقلق، لكن الذاكرة الجمعية لم تعد أحد الرهانات المجتمعية فحسب، بل هي وسيلة وهدف احتمالي"[2]؛ ومعنى ذلك أنّ الذاكرة الجمعية جزء لا يمكن فصله عن

[1] ينظر: سليم سعدلي، "تشكلات الزمكان في رواية" ذاكرة معتقلة " لبلال لونيس"، ص 28.

[2] عبد الرحيم الحسناوي: التاريخ الجديد ثورة الذاكرة التي تراهن عليها المجتمعات المتطورة، العرب https: //alarab.co.uk، 24مارس 2024، 1: 16.

المجتمع، فهي سبيله في تذكر نشاطاته السابقة وتفسيرها، كما يمكن أن تمثل وتصور كل ما يشمل ذلك.

فعندما يتعلم الفرد من ماضيه ويساهم في استبقاء والمحافظة على لحظات تبث للجيل الذي سيخلفهم ويأتون من بعده، وقوفا على أهمية الهوية الجماعية للمجتمع وضرورة التواصل بين أطيافه.وفي هذه القضية تحدث: "تشعر في غمرة الأحداث بأنّ العالم تخلى عنك فجأة.. تبحث عن جار هنا فلا تجده، تهم بمناداة ابن العم فتتذكر أنك تركته خلف البحار، تبحث عن أخ، فلا تتذكر إلا أخا ولدته أمك وغدرت بنفسك حين ابتعدت عنه.. تطمح إلى السماء فتجدها بعيدة عنك.. تنظر إلى الأرض فتدير لك ظهرها.. تحلم ببطنها فيلفظك.. لم يبق لك إلا الله.. وكل من حولك فرعون.."[1]. فالمؤلف هنا يبين شعوره بالفقدان، والتخلي والوحدة من خلال هذا الموضع، فيتذكر الأرض التي كان يحس فيها بالأمان والسكينة، وأهله الذين تركهم من ورائه دون أن يلتفت إليهم. وما ينجم عن الأحداث من آثار تنهش ذاكرته، وتبيدها.

فهذا الاسترجاع والموضع الزمكاني يثير لديه الحنين والحزن وكل الأحاسيس التي من شأنها أن تزعجه، وتزيد من شعوره بالفطام من المكان والشخصيات الذين أحبهم وتعلق بهم هناك، وهذا ما تداعت له شخصية أحمد، كما لا نغفل عن تذكره لكلام عمي الصالح الذي يرقد في إحدى غرف المستشفى، وذلك ما أحدث ضوضاء وتشويشا في رأس زهير الذي كان يجالسه ويروي له عن حياته، وما نهكه من مصائب وآلام زادت من حدة سخطه ويأسه خاصة فراق وطنه الأم، الذي ما لبث هنيهة إلا وتذكر جل تفاصيله هناك وكأنها بالأمس القريب. فكان من كبار المثيرين للاستحضار الزماني والراغب في ربطه بما فات، فيلمع اهتمام الراوي باللاوعي والبحث الدقيق فيه، ليحجب عنه سلطة الوعي قليلا. وفي هذا الإطار يذكر: "آخذ طريقي نحو السكن وأنا أفكر في كلام عمي الصالح عن الخريطة وتفكيك الرموز، وأربطهما بدهاء عباس، ثم أعود إلى آخر لام قاله لي في المستشفى" لا تستدر.. الحياة أمامك.."[2].

---

[1] الطاهر مرابعي من يستأجر لي وطنا؟، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص130.

هذا المشهد يبين لنا مدى تعلق المكان بالزمان بسبب الذكريات التي تجمع بينهما وتحدد علاقاتهما بالمواضع الأخرى، حتى صار كل واحد منهما يوحي بالآخر، وهذا ما يجعل من نسبة فصلهما أمرا معدوما ومستحيلا، فإدراج الأديب للذاكرة بأنواعها الواعية واللاواعية لم يكن اعتباطيا، وإنما جاء ليغطي شعور النفس المهلهل والمبعثر الذي أغرقها بالأسى بسبب طيش غير مألوف فنجمت عنه نكسة عصفت بالذاكرة، مما أعطى للعمل فنية وجمالية أكثر، لتبدي لنا افتراضات تحصل بين المنجز الأدبي والقارئ المتفاعل كنقطة استنزاف تحفز هذا الأخير، وتحركه لكشف اللبس والغموض عن المعاني غير المباشرة داخل النص.

الفصل الثاني: تجذرات الوعي في رواية من يستأجر لي وطنا؟

أولا: تشكلات الوعي وتمويهات اللاوعي

1. الأنا والأخر بين الوعي واللاوعي

1.1. الأنا بين الوعي واللاوعي

2.1. الغير بين الوعي واللاوعي

2. الاتصال الواعي بالألم

1.2. الوعي بالألم المظهر

2.2. الوعي بالألم المضمر

ثانيا: سلطة الذات المنكسرة

1. العنف اللغوي

2. الازدواجية اللغوية

ثالثا: تناغم الوعي بالموت المجازي

1. الوعي السياسي

2. الوعي الاجتماعي

3. الوعي الديني

إنّ العالم اليوم قد أولى اهتمامه بكل الميادين المهتمة بالظواهر الإنسانية، وعلى رأسها مجال علم النفس، والذي يعد منهجا لدراسة الإنسان من كل الجوانب (سلوكه/ أفعاله/ نظرته للحياة...)، وكذا وجوده. فتنشأ ذات واعية مدركة بما يحيط بها، تعرف هويتها، حتى أنّه يعزّز التواصل بينها وبين الآخر، وعلى النقيض من ذلك، قد تدرك الفردَ حالةٌ من اللاوعي يخزّن فيها عقله ذكريات سابقة والتي تمثل جزءا من حياته، كما أنّه قد يتخذ قرارات دون أن يراعي عواقبها، وفي هذا القصد نهدف إلى الاطلاع على تجذرات الوعي واللاوعي وعلاقتهما بالذات والغير.

أولا: تشكلات الوعي وتمويهات اللاوعي:

1. الأنا والغير بين الوعي واللاوعي:

نظريتان نفسيتان متداخلتان، تسعى كل واحدة منهما لدراسة الإنسان من مختلف زواياه، مستندة بذلك على كل ما يتعلق بإدراك ومعرفة كل ثنائية بذاتها، بحيث يكون فيها "إدراك الآخر جزءا من إدراك الذات، إدراكه كما هو، ليس كما نريد، وإن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه"[1]، ما نفهمه من هذا أن التفاعل والتجاوب بين الثنائيتين يتم في إطار ما هو مدرَك، مؤكدا بذلك على ضرورة وحتمية فهم الأشخاص لبعضهم البعض، لأنّ معرفة الآخر بصورة صحيحة والتعاطف معه تبدأ بمعرفة ذواتنا أولا. على أن يكون ذلك في إطار موضوعي بحت، وأن نتمتع بالمحايدة في تصوراتنا دون التحيز لأي طرف كان، فبالتالي نتمكن من التعامل معه بأريحية. فهذه العلاقة القائمة على التفاعل قد نجدها في بعض الأقسام تتجلى في "إذا ما كان الأنا مستعمَرا والآخرُ مستعمِرا فإن

[1] إيهاب النجدي: صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (د، ط)، 2008م، ص10

العلاقة بينهما علاقة صراع وعداء، كما يجمعها علاقة صداقة وتسامح أو تبادل مصالح"[1]، هنا نجد العلاقة بين الأنا والغير تتذبذب وتتأرجح بين الصراع والتسامح. فكما أن رواية "**من يستأجر لي وطنا؟**" تزخر بهذا النوع من الضديات، فالأنا من المنظور النفسي تظهر وتعرف من خلال الذات الواعية، فحتى ديكارت وصل بين الفكر والكينونة من خلال ربطهما بالأنا والذات المدركة الواعية، فالفيلسوف هنا لا يشكفي الذات الوجودية والذات الفعلية الحقيقية، بل يرى بأن الفضل كله في بلوغ الوعي الذاتي، وتحقيقه يرجع للتفكير فيقول: "أنا أفكر إذا أناموجود"[2]. بينما من الناحية النفسية فيجدها الباحث تهتم بالسلوك والفعل الإنساني، ومن خلال هذا سنتطرق لدراسة كل عنصر على حِدة.

1.1. الأنا بين الوعي واللاوعي:

تعد الأنا بين الوعي واللاوعي دراسة فلسفية ونفسية، إذ يستخدمها بروتسي كمصلح يشير فيه إلى أنه حسب رؤية فرويد للذات فهي تتجلى في أنها نشاط موحد ومركب للإحساس والتذكر والقصور والإدراك والحاجة والشعور والتفكير[3]، ومنه فإنّ الأنا عبارة عن مجموعة من الأحاسيس والإدراكات التي يتحقق بها التوازن النفسي للأفراد، فتحميها من الصدمات والتقلبات المزاجية التي تعتري الإنسان بين الفينة والأخرى، أما من الناحية الفلسفية فهي من وجهة نظر ديكارت الذي يرى بأن الأنا "يخص الجوهر المفكر وتختص بفكر الإنسان وتفكيره"[4]، من هنا يتضح بأنها تهتم بجوهر الفكر الإنساني، وكيفية تفكيره في

---

[1] حمزة وشان: "صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر"، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف الأستاذ عبد القادر توزان، تخصص الدراسات المقارنة في الأدب الجزائري الحديث، قسم الأدب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2015/2014، ص15.

[2] سامي محمد عبد العال: "كوجيتو اللغة: الأنا أفكر..والأنا لا أوجد(رينيه ديكارت وجاك لاكان)"، مجلة كلية الآداب، ع2، جامعة الفيوم، مصر, يوليو2021, ص2187.

[3] ينظر: شيماء التميمي، " قوة الأنا "، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق، (د.ت)، ص 5.

[4] أحمنه مشاشو، عقيلة محبوبي: " الأنا والآخر المفهوم والرؤية عبر تاريخ الفلسفة الغربية "، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع2، مؤسسة مركز الحكمة، الجزائر، 10 ماي 2022، ص227.

الحياة. وبهذا سندرس الأنا بين الوعي واللاوعي وتجلياتها في الرواية من خلال ما تبديه الشخصيات.

- **الأنا ونوستالجيا الزمكان:**

هي حالة نفسية تتجلى في الشوق للوطن والعودة إليه، وفي الوقت نفسه يحن إلى الماضي، وبالتالي يمكننا القول بأنّها المنظور النفسي والأدبي، تتمثل في العوامل النفسية الخاصة التي تدفع بالأدباء لاستحضار الماضي بغية تحقيق الاستقرار النفسي[1].

فنجدها في الرواية: "تجعل الفرد يتذكر لحظات وذكريات قديمة من خلال الأحداث التي يمر بها أبطال الروايات، وقد تساعد الأفراد على فهم الذات، وولدت شعورا بالسعادة والشجن في وقت واحد"[2]، ليتبين لنا بأن الإبداع الأدبي يلعب دورالمثير والمحفز للحظات الماضية، فبمجرد أن يتلقاها عقل القارئ يتفاعل مع الأحداث السردية والأناوات التي تعمل على تحريكها، ليجد نفسه في صراع شعوري بين ذكريات سعيدة وأخرى حزينة عاشها في السابق. فتظهر في الرواية من خلال قول أحمد حينما كان يشرح لزهير الوضع في بلاد الغربة قائلا: "تشعر في غمرة الأحداث بأن العالم تخلى عنك فجأة، تبحث عن جارك هنا فلا تجده، تهم بمناداة ابن العم فتتذكر أنك تركته خلف البحار، تبحث عن أخ، فلا تتذكر إلا أخا ولدته أمك وغدرت نفسك حين ابتعدت عنه"[3]، هذا المقطع يحمل في ثناياه نوعا من الحنين بسبب إحساسه الشديد بالوحدة والحسرة خاصة عندما استرجع لحظاته مع أهله، وموطنه الأصلي، ليحيي بذلك الزمن الماضي الذي لازم شعوره وذكرياته.

[1] ينظر: إحسان جابري، نسيمة زمالي: "نوستالجيا الوطن في قصيدة "غريب على الخليج"، لـ: بدر شاكر السياب"، مجلة دراسات، ع1، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، 1ماي 2023م، ص935.

[2] إحسان جابري، نسيمة زمالي: "نوستالجيا الوطن في قصيدة (غريب على الخليج) لبدر شاكر السياب"، ص935.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 23.

كما أنه لم يكتف بهذا بل راح زهير واصفا سطيف مسقط رأسه بقوله: "تنفجر خريطة قبرص بين عينيك أمام كلمة وطن، وتغرق شوارع نيقوسيا ومبانيها واحدا تلو الآخر، فاسحة المجال لمشاهد في شوارع سطيف؛ من الشمينو إلى بومرشي إلى صامو... يزداد جبل تيلّة في قنزات شموخا في نفسك، تتألق عندك مناظر ولبان الخلابة في بني عزيز... يتعاظم خطر بعدك عن الوطن ويشتد لهيب الحرقة إليه.."[1]، ففي هذا الجزء تلعب سطيف دورا مهما في بناء اللبنات الأساسية لشخصية زهير، فهو يصف كل شبر منها وصفا دقيقا متنقلا عبرها، مما أدى إلى تحفيز وإثارة أحاسيسه المرتبطة بالزمان والمكان. وتتصل هذه التجربة بالوعي الفردي للشخصيات، والانتماء للوطن.

حتى أن عمي الصالح حدث زهير عن أيام الصبا وما عاشه في قسنطينة آنذاك، حيث يعيد زهير ما قال له الشيخ المسن: "يعرف عمي الصالح في حديث طويل عن مدينة قسنطينة التي غادرها منذ خمسين سنة ولم يعد إليها، ويذكر أسماء أصدقاء الطفولة فيها يسأل إن كانوا مازالوا أحياء أم ماتوا..."[2]، ويمثل هذا الجزء ذكريات عمي الصالح وعلاقته المتينة التي تجمعه بمدينة قسنطينة، فهنا علاقة ترابط بين الأنا ونوستالجيا الزمكان، لأن كلامه لا يقتصر على توقه الشديد لما فات، بل يتعدى ذلك إلى هويته التي تشكلت ونشأت خلال تلك الحقبة، فهنا تعيش الشخصية حالة من الإدراك نتيجة تذكره لتفاصيل حياته، وصحبه الذين تركهم خلفه في مدينته قبل هجرتها والابتعاد عنها، وبين اللاوعي المرتبط بالتأثير العاطفي للذكريات وانعكاسه عليه. مؤكدا ذلك بقوله: "تربيت في قسنطينة تسلقت صخورها تسكعت في شوارعها، سرقت الفواكه في أسواقها.. كان ذلك منذ خمسين سنة، ولم يخطر ببالي أن أتركها دون عودة.."[3]، جاء هذا المقطع دلالة عن العلاقة التي تجمع الإنسان بالزمان وبلده، فهي توضح قيمة قسنطينة في نفس عمي الصالح، ومدى تعلقه

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص106.

[3] المصدر نفسه، ص107.

بهويته واعتزازه بذلك، فحتى بعدما مضى على غربته خمسون سنة مازال صدى الذكريات حيا في داخله يستحضره متى شاء.

- **الأنا المنجذبة للآخر:**

يمكن تعريفها بأنها حالة شعورية تنتاب الأنا حين تقابل الآخر فتعجب به، وقد يتطور هذا الإعجاب ليصبح حبا وصداقة، أو يفشل فيتحول إلى عداوة، كما تبرز حسب تقسيمات دانيال هنري من خلال ما أوجده في تقسيماته الثالثة لها فيرى بأنها تعنى الذي يجمع المتضادين، وهو مبني على الاحترام المتبادل بينهما[1]، العلاقة التي تربط بين الأنا والغير تنحصر في الإعجاب الذي قد يستمر ويتطور إلى حب، أو يفسد فينتهي كأنّه لم يكن ويتحول إلى عداوة. فيظهر ذلك في قول زهير عندما التقى بسلاف أول مرة قائلا: "... تستدرجني نظرات شقراء تقف خلف زجاج مبنى المطار.. أجر حقيبتي الكبيرة،... لأفر إلى مقلتي عينين كبيرتين أخترق بهما قرونا من العزلة والصمت"[2]. هذا المقطع يصور لنا الحالة العاطفية التي اعترت زهير لحظة رؤيته لسلاف، فيقول (لأفر إلى مقلتي عينين كبيرتين)، وكأنه بفراره المجازي إلى عينيها ستمنحه الأمان والراحة، فبلقائه بها عبر عن شعوره الممزوج بالحنين والشوق بين زمنين ومكانين مختلفين، وهذا ما خلق نوعا من الإعجاب الذي انعكس على نفسية زهير وأثر فيها بشكل كبير. فيؤكد ثانية على أن جمالها لا يقاوم، وكأنّه دواء لكل داء أصابه في حياته، وكل إحساس حزين تسلط عليه قبل أن يلتقي بها في أرض الواقع الحقيقي، فتقول الأنا الرئيسة: "أربني جمالك.." [3]، يتبين لنا من خلال هذا بأن الراوي اعترته مشاعر مختلطة بين الانبهار والميل والانجذاب لشخصية سلاف، أين يقترن الوعي

[1] ينظر: بوعلام صوافي، "محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد"، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف أحمد مسعود، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، الجزائر، 2015/2014م، ص34/33.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص8.

[3] المصدر نفسه، ص10.

بمعرفة الشخص وإدراكه لقيمة الوسامة والجمال الذي أمامه، كاشفا بذلك عن الخلجات والأحاسيس المكبوتة والمكتومة داخل قلبه، فينجم عن ذلك نوع من الارتباك والذهول الذي عاشه زهير لحظتها.

فيتسنى لنا القول بأن العواطف لا تبقى حبيسة بل تتغير باستمرار لأنها انعكاس لمواقف يعيشها الناس بتلاحم فيما بينهم، وتؤثر في أفعالهم. فهنا بلغ السيل الزبى عند زهير بسبب سلاف، فهي في نظره هدرت كل الأوراق الرابحة إذ يقول: "...أصبح في حكم القناعة عندي أن سلاف أحرقت كل نفسها ولم يبق ما تقوله..."[1]، يتبين من هذا المقطع بأن سلاف خسرت كل السبل في السيطرة على عقل زهير واستغلال إعجابه بها في خدمة مصالحها الشخصية، كما يتبين في السياق نفسه بأنّها دُمرت حتى أنها لم تعد قادرة على الكلام.

فالكاتب يحاول التصريح بأنّ الشخصية البطل بلغت مرحلة من الوعي نتيجة تتبعها لسلاف التي سلمت نفسها لشبح اللاإدراك بسبب الصدمات النفسية التي تعرضت لها طيلة حياتها. فيحاول بذلك التخلص من آثار حكاياتها ورميها خلفه، والمضي قدما نحو مستقبله بعيدا عنها، والسعي صوب كل ما هو أفضل وأصدق، فيقول زهير: "وقعت سلاف شهادة وفاتها بيديها.. ربما فضلت المغامرة، ولكن نصيبها كان خسارة الرهان"[2]، يتضح من خلال هذا الجزء بأن سلاف دون وعي منها ولا قصد بدر منها سلوك لم تراع مخاطره ولا تبعاته، مما دفع بها إلى الهلاك والفناء، لتشهد على موتها وهي حية، وهي حالة لاشعورية تدرك الانسان، فتدفع به لاتخاذ قرارات غير مدروسة، تكبده عواقب وخيمة لا تحمد عقباها، وتنعكس بالسلب على حياته وعلاقاته مع الآخر. وما أكد بأن زهير لم يعد يهتم لأمرها وأنه تخلص من عبء حبها قائلا: "...أربع سنوات لينهي قصتها في أعماقه ويتخلص من عبء

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص 33.

حب بلون الخطر.."[1]، في هذا المقطع يظهر نوع من التضارب الداخلي والذي استهدف مشاعره طيلة الأربع سنوات الماضية، محاولا التخلص من هذه العلاقة السامة والمحفوفة بالمجازفات، رغبة منه في العثور على السلام النفسي، بعيدا عن سلاف التي تبدو وكأنها مريضة سيكولوجيا. إذ ينقل لنا الطاهر مرابعي لحظة عودته لأحضان مدينته، وأهله وأخبروه بما كانت تريده خالته المغتربة وعن رغبتها في تزويج ابنتها سلاف منه، فيرد وهو متخوف ومفزوع من أن يُفهم كلامه بالخطأ: "–سلاف ماتت، قتلوها على الحدود الأوكرانية، ودفنتها أنا قبل أن تموت!"[2]، يدل هذا المقطع على أن سلاف لقيت حتفها مرتين الأولى وفاة نفسية ومعنوية لما طوى زهير صفحتها وتركها متخليا عنها، والثانية موت فعلية وحقيقية، لأنها اغتيلت من طرف مجهولين على الحدود الأوكرانية حسب ما أذاعته نشرات الأخبار.

–الذات الإيجابية والواقع المرير:

تسهم الفلسفة في ترشيد الحالة النفسية للأنا، فيغدو تفكيرها إيجابيا رغم السلبية التي نخرت حياته اليومية وواقعه، لتتغير بذلك نظرته للحياة من سطحية وحزينة إلى فاحصة ومتفائلة[3].ومنه فإن الذات بتحسن رؤيتها للحياة، وتغيرها من التشاؤم إلى التفاؤل رغم مرارة عيشها، تتحسن علاقتها بالغير.

ففي رواية "من يستأجر لي وطنا؟" بعدما ألقت سلاف على زهير وابلا من الأسئلة رغبة منها في ضمه لصفها تقول: "في جو طبيعي معتدل، حاولت أن أستعيد توازني، أردت أن أعطي لوجودي بعدا ضبابيا، فكرت بأن التوقيع على الإجابة بختم المكان وملابسات الزمان والحديث"[4]، يصور لنا هذا المقطع تجارب شخصية مرتبطة برؤى عميقة، تدعو

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص136.

[3] ينظر: محمد كريم بن يمينة: " الأناسة الإيجابية في الفلسفة التطبيقية (مقاربة بيوإتيقية لبراديغم إنساني غير متأزم) "، مجلة أبعاد، ع02، جامعة محمد بن أحمد، وهران، الجزائر، 2022م، ص34/33.

[4] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص13.

صاحبها للتأمل في الحياة، وبأنها لا تقتصر على التوازن والاستقرار فقط، بل هي عبارة عن عملية تفاعل متواصلة ومستمرة يتدخل في تكوينها الزمان والمكان. فراح زهير يبحث عن ذاته في خضم التجارب التي خاضها طوال حياته، فهو يريد: "شيء من الثقة يكفيني من أجل أن أدرس تموقعي... علمتني التجارب أن التضليل إن لم يجلب الانتصارات فهو يجنب الهزائم.."[1]، يقف هذا الجزء على الجانب النفسي لزهير ومدى تعلمه من الخبرات التي اكتسبها في حياته، فهو في رحلة بحث عن قليل من الثقة ليعرف أين يضع نفسه ليؤهله ذلك إلى التموقع الصحيح والمناسب في ظل كل الأحداث المحيطة به، مشيرا إلى أن الظفر بالأمور لا يمكن أن يكون انتصارا دائما، إلا أنه في كثير من المواقف يتصدى للهزيمة ويمنع حدوثها.

كما يحدثنا الراوي عن البلدان التي لم تستنزف طاقاتنا ولم تهدر قدراتنا، فيقول: "... الإخلاص الذي نبذله بيننا طاقة إيجابية نخدم بها البلدان التي تحرمنا من إفراغ هذه الطاقة في أوطاننا.."[2]، هنا تتجلى ملامح الواقع الأليم الذي ينعكس بالضرر والسلب على الذات الطموحة فيعيقها، مما يجبرها على عرض خدماتها لبلدان أخرى لتستفيد من طاقتهم الإيجابية فاقدين بذلك الأمل في أوطانهم. وفي الآن ذاته يبقى باب الأمل والتفاؤل مفتوحا أمام الأفراد فيتيح لهم فرصا تشجعهم على البقاء، وهو ما يقضي على الفشل عند الشخصيات بفضل ديناميكيتها، يقول زهير: "... سأكون شاهدا على اغتيال سنوات من الجد الفاشل..."[3]، هنا يتبين أن الشخصية تمكنت منها الخيبة والفشل لأنها لم تبلغ ما ترجوه رغم بذلها قصارى جهدها في سبيل اعتلاء قمم النجاح، إلا أن كل ذلك ذهب سدى. فحتى الأوطان التي فضلتها على وطنها الأم تناستها،ويتبين ذلك في المقطع: "تطوف حول العالم بأكمله، لكن لا أرض تصبح لك وطنا، قد تمنحك أي دولة في العالم المال والحرية وتنجدك

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 13/ 14.

[2] المصدر نفسه، ص21.

[3] المصدر نفسه، ص26.

من الفقر وربما الموت، لكنها لن تكون لك وطنا"[1]، هذه العبارة تحمل دلالة واضحة على إمكانية حصول الانسان على فرص جديدة في أي وطن تنتشله من واقعه الأليم، هنا يحدث صراع بينه وبين انتمائه لوطنه الذي لا يحل محله أي بلد آخر، مهما كانت مغريات الحياة. فزهير بطل الرواية نجده يحاول جاهدا إيجاد حل يحول بينه وبين رغبته في الهجرة. ومن خلال هذا يتبين لنا بأنّ الذات الإيجابية تحاول الدفع بواقعها المرير إلى بر التفاؤل، كما يتدخل الوعي واللاوعي في هيكلة تخيلات الذات وتصوراتها، وتفاعلها الإيجابي مع الوقائع المؤلمة التي تخضع لتغيرات الحياة.

- **الأنا البائسة:**

وتبرز هذه الأنا في شعور الفرد القانط فيلحق الأذى بنفسه، وهو نمط سلوكي مضطرب، يشعر فيه الفرد بالندم الشديد على قرارات اتخذها في السابق فيتملكه الشعور بالذنب، والوحدة والقهر[2]. كما أنها تعبر عن الندم الشديد الذي استحوذ على الذات بسبب قرارات اتخذتها في الماضي، فيرفق هذا الشعور بالحزن والتشاؤم على الفرص الضائعة منها، وهو ما نجده في المقطع الآتي: "حالة شعورية ومعرفية ووجدانية سلبية، يتعايش معها الإنسان عندما يدرك أن وضعه الحياتي الحالي كان يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه لو كان أحسن الاختيار والتصرف في الماضي"[3]. ليؤكد لنا زهير ذلك بقوله كان: "... استقبالا يليق برجل يجمع في شخصيته كل التناقضات، يختزل في قلبه وعقله خيبة أمل جيل بكامله.. خيبة تحفر في أعماق نفسه المقهورة جرحا غائرا.."[4]، ويبين هذا المقطع مدى التناقض الذي تعيشه الشخصية، بعدما خيّم عليها الإحباط، فزهير يعبر عن خيبة أمل جيل

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص82.

[2] ينظر: أذية الذات، الطبيhttps: //altibbi.com، 14: 44، 8 ماي 2024م.

[3] عفراء إبراهيم خليل العبيدي: "الحسرة الوجودية لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض التغيرات"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع01، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 01 مارس 2022م، ص413.

[4] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص9.

بأكمله، مما سبب له أذى وجرحا نفسيا غائرا. فتشاؤمه لم يقتصر على فترة معينة من حياته بل مسّ جوانب أخرى، يقول: "كانت طلقات نارية قاتلة، أزهقت روح الأمل في صدري... "يكاد يعلو صراخ مكبوت في صدري" يكفي.. يكفي.. لن أندم، فأنا إن لم أكسب شيئا، فإني لا أملك آخر لأخسره"[1]؛ في هذا المقطع تظهر لنا الذات في قمة اضطرابها بين الحزن والأسى والفقد رغم بصيص الأمل الذي رسمته محاولة تجاوز الأزمة.

كما نجد أحمد يتحدث عن وطنه مسترجعا ذكرياته مع أهله فيقول: "تشعر في غمرة الأحداث بأن العالم تخلى عنك فجأة...، وكل من حولك فرعون.."[2]، يعبر هذا المقطع على شعور أحمد بالوحدة والبؤس بعد هجرته، فرغم كل الانكسارات التي لحقت به إلا أنه لم يجد يدا تعطف عليه.وبذلك يمكننا القول إنه تعرض لخيبة أمل كبيرة ألقت به في بحر الاستياء. هذه عواقب وتبعات الهجرة وانعكاسها على الذات البشرية، فبلحظة وعي منها تدرك قيمة الوطن، وما يخلفه الاغتراب من مشاعر سيئة وقاهرة تنعكس على الفرد بالسلب فتؤثر عليه. كما نجد زهير يتحسر على هجرته لوطنه بعد أن حدثه نوزاد عن محمد فيقول: "تلسعني هذه الكلمات "يعود إلى وطنه ويستقر فيه"، بينما غادرت وطني وأزعم أني لن أعود إليه، ما أضيق العالم حين تكون بعيدا عن وطنك!.. "[3]، ومن خلال هذا المقطع يتبين أن زهير يجلد نفسه بعد تأثره بما سمعه من محمد الذي يسعى للعودة إلى وطنه، إذ يجد زهير نفسه متجردا من كل ما يدفع للتفاؤل غارقا في مساوئ الحياة ومركزا بذلك على قيمة الوطن.

أما عمي الصالح ذلك الشيخ المسن لم يعفه هو الآخر اليأس والحزن رغم قلة صحته، فحزنه على فراق وطنه، وتخلي زوجته وأبنائه عنه، زاد الطينة بلة فيحدث زهير وقد نال منه الندم قائلا: "– لو أن الحياة تعود إلى الوراء لكان لي تصرف آخر.. لكن فات الأوان، ولن

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص 81.

أعود شابا كما كنت من قبل.. ارجعا إلى وطنكما ولا تمنحا الندم فرصة، فالندم لا يأتي إلا بعد فوات الأوان..."[1]، يبين في هذا المقطع جانب من الحسرة والمعاناة التي يعيشها هذا الشيخ الجزائري (عمي الصالح)، الذي بقي حبيس الماضي بأنه مازال حبيس الماضي والمواقف النفسية البائسة، والتي عجز عن تغييرها نحو الأفضل. فتتضح علاقة الذات المتشائمة بالوعي واللاوعي من خلال إدراك الشخصية محيطها وواقعها الذي تعيش ومعرفة خباياه مقابل اللاإدراك الذي تتخذ فيه الذات مواقف قد يعقبها الندم وتتبعها الحسرة.

2.1. الغير بين الوعي واللاوعي:

ويقصد به الفرد المختلف عن أفراد الطبقة السائدة في المجتمع فيتميز عنهم، إذ نجدها في الفلسفة تتجلى في: "الصورة الجوهرية من خلال مقولة الوجه الذي يمثل مرآة عاكسة لحقيقة الأنا وكينونتها"[2]، أي هو موافقة الأنا في مقابلتها للآخر وما يقوم بينهما من صراع نفسي داخلي تفضحه ملامح الوجه. وعليه يمكننا القول إنه لا يتحقق وجودالأنا في غياب الآخر.

- **العرب من منظورالغير:**

يرى الآخر الغربي الانسانَ العربي بعين الاحتقار والإهانة والنظرة السلبية الدونية، هو قابع من منظوره دوما في مدارات الهامش، بينما يبقى هو السيد وصاحب السلطة. إذ نجد الصحافة الغربية تقر بأنّ: "العالم العربي في هذا العصر يعيش جوا من المتناقضات الورائية لا مثيل له لدى سائر الشعوب"[3]؛ يعني هذا أن العرب يقبعون داخل أسوار التناقضات التي تبرز مختلف مرجعياتهم واعتقاداتهم، وقد يكلفهم ذلك الكثير بغية فهم الوضع المتردي وإيجاد حلول مناسبة له.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص108.

[2] أحمنه مشاشو، عقيلة محجوبي: "الأنا والآخر المفهوم والرؤية عبر تاريخ الفلسفة الغربية"، ص299.

[3] فريديريك زريق: العرب في نظر الغرب، مطبعة ابن زيدون، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1951م، ص9.

إذ نجد في الرواية سلاف تنتقد زهير وأصوله العربية وانتقامهم من الغرب اللذين اختلفوا معهم لغة ودينًا: " أنتم العرب تنتقمون من الذين استعمروكم وسلبوا ثرواتكم "[1]؛هنا توجه سلاف اتهاما مباشرا للعرب لأنهم يرغبون في كسر أغلال السياسة الغربية التي استولت عليهم وقيّدتهم، مؤكدة بذلك على أنهم جماعة بربرية متوحشة فتقول " تأكلون شباب بنات الغرب، وعندما ترغبون في الاستقرار، تعودون إلى أوطانكم وتختارون بنات بلدانكم للزواج"[2]؛يتبين هنا كناية عن الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الشباب العربي في بلاد المهجر، فعبارة (تأكلون شباب بنات الغرب) توحي على استغلالهم في خدمة مصالحهم الشخصية كالزواج منهم بغية الحصول على الوثائق الرسمية لتلك الدولة، وبعد تحقيق أهدافهم يعودون أدراجهم نحو أوطانهم الرسمية ويتزوجون من بنات جلدتهم، ويبين هنا حالة من الوعي التي اعترتهم من خلال إدراكهم لمجريات مستقبلهم غافلين عن العواقب التي تنجم عن ذلك.

- **الغير المساعد:**

شخصية تمثل دورا مساعدا في الرواية، وهي خاضعة للجانب النفسي، إذ نجدها: "شخصية ثانوية، مكتفية بوظيفة مرحلية"[3]، رغم بساطة وظيفة الشخصية الثانوية وقلة تأثيرها على باقي شخصيات الرواية إلا أنها تسهم في بلورة الحدث وتصويره كما ينبغي. إذ نجد زهير استحوذ عليه الشك بسبب تصرفات سلاف وطريقة كلام أحمد: "... أصبح النادل مفتاحي الذي يجب أن لا أضيعه"[4]، يوحي هذا المقطع بضرورة لقاء زهير بالنادل، وحتمية وجوده في حياته لأنّه الشخص الوحيد الذي يبدو الأفضل من بين الشخصيات التي تعرف عليها خلال فترة تواجده بالمهجر. مما دفع بزهير للتقرب من النادل وتفضيله على حساب

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟,ص15.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء, الزمن, الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت, لبنان، ط1, 1990, ص215.

[4] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، 25.

أحمد وسلاف، قائلا: "...يزداد قرب نادل المطعم مني عن قرب سلاف وأحمد، بل يزدادان بعدا عني.."[1]، هذا يدل على وجود علاقة تأثير وتأثر أدت إلى حدوث تفاضل وتفاوت بين الشخصيات، فزهير استثنى النادل وفضله على سلاف وأحمد.

ومن خلال هذا يتسنى لنا القول إن الوعي يمكّننا من بناء وتأسيس فكر تحليلي سليم، بفضل التأثيرات والتأثرات التي قد تصادف الفرد في إحدى مراحل حياته، بينما من زاوية اللاوعي فهي تنعكس دون سابق إنذار، وهو ما يتجلى من خلال التصرفات والانفعالات. فيؤكد الطاهر مرابعي على مدى تعلق إبراهيم (زهير) بالنادل، يقول: "يزداد تعلق إبراهيم بنادل المطعم، الوجه الوحيد الذي يشبهه.. يتساءل في نفسه "هل تعارفت روحينا فتآلفتا"[2]، وهو ما يدل على حيرة إبراهيم حول حقيقة ما رأته عينه في وجه نوزاد، متسائلا في نفسه هل حقا الملامح تعبر عن صدق النوايا؟، أم أن أرواحهم تعارفت قبل أن تتآلف؟.

فبعد بحث مطول عنه، وتساؤلات عديدة، وتخوفه مما إذا كان قد يستقبله ويتوافق معه، فيقول زهير حين التقطت حدقته نادل المطعم: "...حتى هذه اللحظات، نادل المطعم هو ثاني شخص قريب منه ويستطيع التفاهم معه"[3]؛ فإبراهيم انجذب لنوزاد وارتاح له بمجرد أن لمحه، حتى أنه جزم قطعا بأنه الوحيد الذي سيسانده، ويخلصه من كل الذئاب البشرية التي تطوقه وتحيط به. فبعد رحلة البحث، والصراعات، والترقب أمام المطعم، يقول زهير: "لحسن الحظ هو أول شخص ألتقي به في الداخل..."[4]؛ ويحمل هذا المقطع كثيرا من المعاني والدلالات، فحتى الحياة التي طالت عتمتها وسوادها، وكشرت عن أنيابها هاهي اليوم تبتسم لإبراهيم بعدما فقد الأمل في العثور على نوزاد، كان أول واحد رآه عند مدخل المطعم هو النادل، فيعتقد بذلك أنّه الرجل الوحيد الذي سيقدم له كامل الدعم والمساعدة. فراح يدقق في ملامحه ويتفحصها، ويمعن النظر فيها متأملا ما رآه، ليقول: "...هذا الرجل

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] المصدر نفسه، ص40.

[4] المصدر نفسه، ص48.

لا يوجد لديه ما يخفيه.. صداقته آمنة، والأهم من ذلك أنه سيقدم لي توجيهات عملية في التعامل والتأقلم مع الناس هنا.."[1].

فرغم اختلاف جنسيات الشخصيات وتنوع انتماءاتها في الرواية، إلا أن الكاتب صور لنا الثقة العمياء التي منحها إبراهيم (زهير) لشخص من أصول كردية، سورية لا يعرف عنه إلا القليل، فهنا تظهر قيمة وقوة الرابطة التي ستجمعهما. إذ تبرز في علاقة تفاعل تجمع بين النادل كشخص أجنبي يجسد صورة الآخر مقابل إبراهيم الذي يمثل الأنا. فلم يكتف بهذا فقط بل راح نوزاد يضع كامل ثقته في كلام محمد بعد حديثهما عن رغبة زهير في الوصول إلى مكان أوروبي مختلف، فيقول زهير: "...يعدني محمد بأن عليا سيمد لي يد العون للوصول إلى غاية العاصمة كييف..."[2]، فمحمد يؤكد لإبراهيم –زهير– بأن علي هو المنقذ الوحيد وسبيلهم للوصول إلى كييف، ويد العون التي ستوصلهم إلى بر الأمان، وتحقق بعض الأحلام بمجرد وصوله إلى كييف. لتظهر هناالعلاقة بين الغير المساعد وثنائيتي الوعي واللاوعي في إطار تواصلي ومتداخل، والتي تسعى للإلمام والإحاطة بجل جوانب الشخصية النفسية، والاجتماعية والثقافية الفكرية، والتي تنعكس على تصرفات الذات في تقديمها للمساعدة.

2.اتصال الوعي بالألم

من بين الظواهر الكثيرة والمتنوعة التي وثّقتها النصوص السرديةّ بشكل لافت، نجد الألم الذي انفجر وفاض من القهر والاضطهاد النفسي والظروف الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية المؤلمة التي يعاني منها المجتمع العربي وخاصة الجزائري، كون الألم ذاقه جل الناس سواء أكان جسديًا أم نفسيًا ؛لأنّ الإنسان يولد ويتربى ويعيش في الألم، باعتباره"مجموعة من الأحاسيس التي تنعكس سلبا على الفرد في مختلف المجالات النفسية

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص52.

[2] المصدر نفسه، ص83.

والاجتماعية وغالبا ما ترتبط بمتاعب الجسد وعذابه "[1]. ومن هذا السياق ندرك أنّ الرواية الجزائرية عكست هذه الظاهرة بطريقة واقعية تخييلية جمالية، فالمبدع هو من يستطيع نقل آلامه عن طريق اللغة التي يتخذها أداة ودواء يتشافى به. فالحرف بالنسبة للمبدع هو الملح الذي يداوي به جراحاته الداخلية.

ورواية من يستأجر لي وطنا؟للطاهر مرابعي تعتبر من أبرز الصور في رسم الألم سواء كان مضمرا أم جليا، بحيث نجد الروائي قد تمكّن من خلق تجربة يظهر من خلالها وعيه المعبر عن آلامه وأحاسيسه وأحاسيس مجتمعه التي تتأرجح بين وعي الذاكرة ووعي الروح، وذلك لشدّ القارئ وجعله يتابع الرواية من بدايتها إلى نهايتها. وبما أنّ هذه الظروف والآلام أدت إلى ميلاد هذا النص، فقد قمنا بتخصيص عنوان قائم بذاته لنجسّد فيه ما أراد الكاتب تصويره عن الألم الداخلي والخارجي في هذه الرواية.

1.2. الوعي بالألم المظهر:

نجد الطاهر مرابعي في رواية من يستأجر لي وطنا؟ استطاع أن يُحوّل الواقع المؤلم إلى عمل روائي فني جمالي، ليوثق من خلاله الآلام الظاهرية الناتجة عن الوعي بالواقع المرير والانفتاح اللاواعي عن الآخر، وبالتالي فإنّ الكاتب قام بإخراج هذا الواقع الأليم من قوقعته الخاصة إلى قوقعة الفن والجمال، وذلك باستناده على ذاكرته الواعية، باعتبار أن هذه الأخيرة هي " الذاكرة الحاضرة التي لا يَطالها النسيان "[2]، فنجد الكاتب استحضرها وهو يستجلي آلام الحاضر والماضي التي عاشها أو صادفها عند أناس يتشاركون معه الهموم والآلام ذاتها، حيث جسّد لنا في هذه الرواية تطلّعات شخصيات متنه السردي، التي تعكس لنا وعيهم بكل الأوضاع التي جعلتهم يتألمون.

---

[1] صليحة لطرش، أمحمد بودية: "تجليات الألم في الكتابة السردية العراقية بين تأرجح الإبداع وحدود إمتاع القارئ "رواية صيادو الريح للمياء" الآلوسي نموذجا"، مجلة دراسات معاصرة، ع01، المركز الجامعي، تيسمسيلت، الجزائر، جوان 2022م، ص 534.

[2] نادية هناوي: "السارد الشاهد والذاكرة الواعية"، جريدة الصباحhttps: //alsabaah.iq، 10: 00، 15ماي2024م.

فأول ألم واجهنا في هذه الرواية هو ألم زهير المتجسّد في علاقته الخارجية مع الآخر _سلاف_ التي تطورت عبر الجسر الأزرق الافتراضي _الفيسبوك_، ودليل ذلك قول زهير: "تعرفت على فتاة...وأنا في الجزائر عن طريق الفيسبوك طيلة أربع سنوات... ذات يوم طلبت مني أن أسافر إلى قبرص...فسافرت."[1]، وهذا المقطع إن دلّ على شيء فهو يدل على وعي زهير وثقافته في مواكبة هذا الجسر الافتراضي الذي زاد من تأزمه وشدة ألمه، ويظهر ذلك أيضا في: "فقدت كل الألوان خلال فترة سفري، منذ وطئت قدماي قبرص ثم ألبانيا ثم مقدونيا ثم أوكرانيا، ولم يبق في عيني غير الأسود الدّاكن!.."[2]، فيعدّ هذا القول دليلًا على أن هذه العلاقة سَبّبت لزهير الألم والضياع، إذ أنّ كلمات هذا المقطع: (فقدت كل الألوان)، وكذلك (لم يبق في عيني غير الأسود الدّاكن) كفيلة بوصف حالة زهير المتألمة والحزينة. ومنه يعود رصد الكاتب لتلك الآلام كي يبيّن أن الإنسان كلما كان واعيًا ومثقفًا في علاقته مع مجتمعه أو مع الآخرين، كلما زادت آلامه أكثر، وخير مثال على ذلك شخصية زهير الذي كانت ضريبة وعيه وثقافته وانفتاحه تلك التأثيرات النفسية التي تزايدت وتفاقمت بداخله.

كما واصل الطاهر مرابعي في سرد أوجاعه، فنجده تحدث عن ألم آخر وهو ألم الثورة أي ثورة الآخر على الأنا، وهو ألم حطّم ذات الكاتب وأرهق ذاكرته الواعية، فقام بالتنفيس عن وعيه بحبر الألم وذلك على لسان شخصيات متنه الحكائي وخاصة البطل زهير الذي نجده تألّم وتحسّر من خلال ما فعله الغرب _فرنسا_ بالأنا الجزائرية ومدى صبرها على هذا الوضع "فرنسا اللعينة التي صنعت جزائريي كاليدونيا، مازالت تعبث في الوطن من أجل مصالحها، لكن لن تكون هنالك كاليدونيا أخرى..سيُنهي الشرفاء مهما قلّ عددهم هذه المحنة وسنعود يوما ما..يستحيل أن لا يبقى أوفياء لقوافل الشهداء..مازالت عروق رفقاء السلاح

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص117.

[2] المصدر نفسه، ص 132.

تنبض بالدم، وجيل الاستقلال محافظ على وفائه لنضال أجداده "[1].فهذا المقطع دليل على الألم القاهر والمحطّم للأنا الوطنية، لكن رغم ذلك نجدها صابرة ومتفائلة، وفي هذا السياق أيضا قدّم لنا الطاهر مرابعي صورة واعية عن آلام ومعاناة الفلسطينيين، وعبَّر عن ذلك من وراء شخصية عباس الذي يعدّ مثالا حيًا عن الذين يقاومون الاحتلال بطريقة واعية جعلتهم يتألمون نتيجة لتجردهم من هويتهم وتزويرها قصد الكفاح والمحافظة على وطنهم ووطنيتهم، ودليل ذلك قول عباس: "كل ما عرفته عني صحيح، عدا الاسم، فأنا لست عباس،..ظروف الفلسطينيين، خاصة الذين يقاومون الاحتلال دفعتهم للعيش بوثائق مموّهة وأسماء وهمية"[2].

وفي خضم جراح الحرب والثورة، يرسم لنا الكاتب لوحة فنية عن الألم من الحياة، وهي لوحة يمثلها ونلمحها في شخصية نوزاد الذي عانى من ألم كبير من خلال وعيه بكل ما يحدث في سوريا من حرب وثورة وفوضى، وهو ألم لا يشعر به إلا من ذاق طعم الحرب، ويظهر ذلك في قولزهير: "الجميع يتحدث عن فوضى في سوريا"[3]، ليضيف قائلا: "شعرت بأني تسرّعت في ردة فعلي، وتذكرت بأنّ سوريا هي وطن نوزاد، وللحظة بدا لي أنّ نوزاد أخذ يتلاشى ويتبخر تحت وطأة خبر الحرب "[4]. من هذين المقطعين ندرك الألم الذي صفع نوزاد وجعل ذاكرته ووعيه منشطرين.و بالتالي فإنّ الكاتب سرد لنا ألام نوزاد وزهير وعباس على أنّهم يعيشون مشهدا واحدًا وألمًا واحدًا ومعاناة واحدة.

وبعد هذه اللوحة الأليمة يحملنا الكاتب إلى لوحة أخرى معنونة بألم التشرد والتعذيب وذلك بانطلاقه من خلفيته ووعيه وثقافته بكل الآلام الظاهرية التي وصلت إليها الأنا الوطنية العربية، بحيث جسّد هذه الآلام من خلال شخصيتي نوزاد والعم صالح. فنوزاد شخصية ممزوجة بالجراح التي لايمكن أن تشفى، إذ نجده عانى من التشرد والتعذيب بسب وعيه

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص70.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

[3] المصدر نفسه، ص 79.

[4] المصدر نفسه، ص 80.

بالأمور السياسية ونشره مقالًا عنها، إلّا أنّ هذا الوعي لم يمنحه سوى المآسي و الآلام والانكسار يقول: " فررت من سوريا باتجاه اليونان أوّل الأمر، وبقيت هناك ثلاثة أشهر، وكنا لا نجد ما نأكله...وتم طردنا إلى الحدود حتى نخرج من التراب اليوناني، فكانت تركيا أقرب الحلول بالنسبة لي،...لكنني غادرتها بعد شهر فقط بسب انعدام فرص العمل، فجئت إلى قبرص..."[1]، وهو دليل واضح على ألم التشرد الذي عاشه نوزاد، أما آلام تعذيبه فتظهر في قوله: "أشبعتنا الشرطة ضربا بالهراوات، وكنا لا نجد ما نأكله كنا نعاني من قمع شديد.."[2].وندرك من خلال هذه الكلمات القليلة شدة الألم ومخلّفاته على حياة نوزاد، وما زاد وضاعف أوجاعه هو عدم مساندة بلاده له رغم مواقفه الداعمة بقوله: "نحن الأكراد نعيش بلا حقوق، حتى أنّنا لا نملك وثائق هوية..ولم تشفع لي مواقفي الداعمة.."[3].إذ تدلّ هذه العبارات: (نحن نعيش بلا حقوق)، و(لانملك وثائق هوية)، (أشبعتنا الشرطة)، (فررت من سوريا)...على تشرد وعذاب نوزاد، التي كانت حياته درسًا عن الإنسانية أمام البطل زهير.

أما شخصية العم صالح فكانت تعاني ألم التشرد والضياع من طرف الآخر جرّاء غربته يقول السارد: "ينطق شيخ مشرد يقبض بيده على كيس كبير مملوء بالملابس القديمة.."[4] ويقول العم صالح أيضا: "يعتقد الناس بأني مجنون، ويتجنّبون الاحتكاك بي بسب ثيابي الرثة والممزقة وقلة النظافة، لو يعلمون ما في هذا القلب وهذا الرأس ما فعلوا ذلك ! "[5]. فهذان المقطعان دليل على الألم الذي تعرّض له العم صالح وهو في الغربة وذلك نتيجة لوعيه وتيقنه بكل ما يحدث من حوله من اختلافات وحقائق مدمرة للأنا، ومنه فإنّ وعي العم صالح لم يمنحه سوى الآلام المدمرة التي أرهقت ذاته وصحته وأوصلته إلى فراش

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

[4] المصدر نفسه، ص 106.

[5] المصدر نفسه، ص 127.

الموت يقول زهير: "فهمت بأنه يعيش برودة داخلية ويعرف ما ينتظره، وفهم أن الطبيب أخبرني بخطورة مرضه، وذات لقاءوجدت وجهه شاحبا والابتسامة تودّعه.."[1].

فكل هذه الآلام الظاهرية عبر عنها الكاتب بوعي ذاتي ومقصود ليساعد القارئ على الاندماج في وعي النص وواقع الحياة ويؤثر فيه بطريقة جمالية.

2.2. الوعي بالألم المضمر:

بعد أنّ وثّق لنا الطاهر مرابعي الألم الظاهري الناتج عن الوعي بأهم الأوضاع والمواقف، نجده يواصل توثيقه في خضم ذلك، برسم لوحات عن هذه الآلام المضمرة التي أصابت دواخل شخصيات متنه السردي، ليجعل القارئ تحت تأثير المتابعة حتى يجد نفسه أمام شخصية متألمة ومقهورة تعاني بصمتٍ جرّاء تلك الآلام والأحاسيس العميقة عمق الجراح.وبالتالي فإنّ الطاهر مرابعي تمكّن من العودة إلى ذكرياته و رصعها بالآلام والخيبات والانفعالات النفسية التي حطّمت ذاته الواعية، كي يقدم أحسن لوحة عن آلام شخصيات متنه الحكائي خاصّةً شخصية البطل _زهير_، وذلك قصد مشاركة المتلقي/القارئ و إيقاظ روح الإنسانية فيه.

ونبدأ بقول البطل _زهير_: "ثوانٍ بعد هبوط الطائرة ونزولي منها، تستدرجني نظرات شقراء تقف خلف زجاج مبنى المطار..أجرّ حقيبتي الكبيرة، وتتملكني قناعة بأحد أمرين إما ؛أن يكون مكاني داخل الحقيبة، أو أنّ سلاف هي حملي في الحقيبة، لأفرَّ بها إلى مقلتي عينين كبيرتين، أخترق بهما قرونا من العزلة والصمت "[2]. ويضيف قائلا: "تستقبلني استقبال عائد من الحرب، ضائع جائع، جائع لكل شيء، للجسد، للحرية، للموت، للحياة، للسلطة، للمال،..استقبالا يليق برجل يجمع في شخصيته جميع التناقضات."[3]، وغيرها من

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 127.

[2] المصدر نفسه، ص 08.

[3] المصدر نفسه، ص09.

المقاطع التي تصف لنا ألم زهير ووجعه ومعاناته النفسية التي واجهته وأحدثت ألما في ذاته، وجعلته يشعر بالاغتراب والضياع والأحاسيس المتضاربة والمتناقضة بين ساحتي الوعي واللاوعي مما أدى به إلى اتخاذ قرار غير واع و هو الهجرة و اللجوء إلى الآخر _ ما وراء البحر _. فزهير شخصية متألمة نتيجة فقدانه كل ما يحب (الوطن، الأقرباء، الوطنية، وحتى ذاته الانسانية..)، فأصبح يعاني من الواقع الذي كسر الأنا الوطنية وجعلها متشردة ومنشطرة بين بلدان العالم، ودليل ذلك هذا المقطع: "تشعر في غمرة الأحداث بأنّ العالم تخلى عنك فجأة...تبحث عن جار هنا فلا تجده، تهمُّ بمناداة ابن العمّ فتتذكر أنك تركته خلف البحار، تبحث عن أخٍ فلا تتذكر إلا أخًا ولدته أمك وغدرت بنفسك حين ابتعدت عنه..."[1]. ومنه يتضح أنَّ الألم ضارب بقوة في خلجات وذات البطل _زهير _.

كما نجد –أيضًا– الطاهر مرابعي من خلال شخصيات متنه الحكائي يشارك قراءه ألم الاغتراب الذي أفقد شخصياته الحياة وبث في ذاتها وخلجاتها الألم؛ كون الإنسان إذا فشل في تحقيق أبسط حاجياته ورغباته سيعيش جوا من الكآبة والألم والاغتراب، وذلك راجع لفقدان ثقته بالمجتمع الذي ينتمي إليه، وهذا في حد ذاته ألمٌ ووجع خلّف في ذات زهير الشتات والضياع، إذ نجده يقول: "هربت من مجتمعك، هربت من مشاريعك الفاشلة."[2]، كما يقول: "...يختزل في قلبه وعقله خيبة أملٍ جيل بكامله..خيبة تحفر في أعماق نفسه المقهورة جرحا غائرا..تجربة جيل خسر كل شيء، رغم أنّه لم يملك شيئا.. جيل يحمل بين يديه بقايا وطن..يفرّ به إلى الله!."[3]، ويضيف قائلا: "الوطن بالنسبة لي شيء مفقود في هذه اللحظة..."[4]. وغيرها من المقاطع التي تؤكد ألم زهير واغترابه وفقدان ثقته بوطنه ومجتمعه، لأنَّه ليس من الضروري أن تكون في الغربة كي تشعر الأنا _الفرد_ بالاغتراب والوحدة، بل

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 15.

[3] المصدر نفسه، ص 09.

[4] المصدر نفسه، ص 21.

الشعور بعد موجود من يشاطرها ويشاركها ذاتها الإنسانية داخل كيانها هو اغتراب وألم في حد ذاته.

كما جسدَّ لنا الكاتب ألما آخر وهو ألم العجز الذي أصاب زهير وأثّر في نفسه بسبب ضعفه وعدم مساعدة ذاته في بلد غريب، حيث نجده لم يستطيع الاعتماد على ذاته بل ارتكز على غيره، وهذا ما خلّف له ألما بالغا في نفسه، ويظهر ذلك في النص "من سيفكر في التخلّص من الآخر..أنا أم سلاف؟ هل ستكون عبئًا عليَّ أم أنا الذي سيكون عبئًا عليها؟"[1]، وكذلك نجد قول أحمد: "سأرسلك إلى مرجان..."[2]، كما يضيف أحمد قائلا: "سأساعدك في روسيا..لديَّ صديق هناك يعرف شوارع موسكو وأزقتها، ويمكنه أن يخدمك."[3]، وغيرها من الأمثلة التي توضّح بأن الاعتماد على الغير جزء بارز في شخصية زهير، إذ جعل من الآخر ملاذا نفسيا ومعيشيا.

كما وثّق لنا طاهر مرابعي ألما آخر تمثل في ألم الشوق الذي زاد النفوس حسرة، فالإنسان مهما يحاول نسيان وطنه الأصلي فإنّ الحنين يمنعه.وهو الموقف نفسه الذي حدث مع بطل الرواية زهير يقول: "ألا يقولون إن حب الوطن فطرة الإنسان؟ حبّ الوطن يحي في قلوبنا حيث نبتعد عنه. عندما نفقد الشيء نعرف قيمته.."[4].ومن هنا يتضح شوق زهير لوطنه وعدم نسيانه رغم البعد عنه، وهذا ما ولَّد في نفسه جرحًا غائرًا.ونبقى مع ألم الشوق الذي نلمحه أيضا في شخصية العم صالح والذي أخذ نصيبًا منه نتيجة غربته وابتعاده عن وطنه الأم وعائلته وأصدقائه، ودليل ذلك قول السارد: "يغرق عمي الصالح في حديث طويل عن مدينة قسنطينة التي غادرها منذ خمسين سنة ولم يعد إليها، ويذكر أسماء أصدقاء

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص20.

[4] المصدر نفسه، ص 21.

الطفولة فيها ويسأل إن كانوا مازالوا أحياء أم ماتوا !.."[1].فكل كلمات وعبارات هذا المثال تُعبّر عن ألم الشوق الذي عانى منه العم صالح، إذ يعدُّ هذا الغوص الطويل في الحديث عن وطنه راجعا لحنينه وشوقه، ووحدته في الغربة وانهزامه أمام الآخر، مما شدّه شوقًا وحنينا للأيام الماضية. فرغم شخصيات رواية من يستأجر لي وطنا؟ من آلام واقعهم إلى ماوراء البحر ليُعيدوا الاعتبار لأنفسهم ويُرتبوا صفوف حياتهم وذاكرتهم الواعية، لَكنّهم انصدموا بألم الشوق والاغتراب والعجز...، وهذا الشعور الذي خيّم على ذواتهم ووعيهم ليعيشوا حالة من الذعر. وهذا ما لمحناه عند كل من زهير والعم صالح...وغيرهم.

وبالتالي فإنّ الكاتب وثّق بوضوح التأثيرات الاجتماعية والسياسية...التي انعكست على نفسية شخصيات متنه الحكائي، لذلك نجدها ظهرت كلوحة بألوان آلامهم وخلجاتهم الثائرة.

ثانيا: سلطة الذات المنكسرة:

هي حالة نفسية تجتاح وتنتاب شخصيات الرواية، نتيجة الصدمات النفسية المتتالية والقاسية، فهي"توصف بالممارسات أو الإجراءات داخل بنية أو نظام أو مجال محدد (المجتمع، المعرفة، الفرد)، في ظل علاقات غير متكافئة، تخلق أوضاعا غير مستقرة بين من يمارس السلطة ومن يخضع لها، حيث المقاومة والنضال إزاء محاولات الإخضاع والهيمنة وفرض الإرادة"[2]، وبالتالي فإن العلاقة بين الأنا والآخر متفاوتة الدرجات، مما يؤدي إلى تدهورها وعدم استقرارها بسبب التسلط الزائد من إحدى الطرفين، فيحمل بذلك الخطاب السردي جانبا من الوعي، والتصور الخاص للحقيقة، والمعرفة ولعلاقة الأنا بهذا العالم وما يحتويه، فيكون بذلك الوعي والحقيقة والمعرفة سبيلا لامتياز الذات وتفوقها، موضوعا

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 106.

[2] شكري الطوانسي: "سلطة الذات وبناء العالم السردي دراسة في روايتي: "الرعية" و"الجميل الأخير" لصلاح والي"، مجلة كلية الآداب، ع2، جامعة بنها، مصر، 2006م ص4.

لسلطتها وأداة لها[1]. فيظهر تسلط الذات المنكسرة بوضوح على الذات فيؤثر عليها وعلى جوانبها المادية والمعنوية، وسنتعرف على ذلك أكثر من خلال العنف اللغوي والازدواجية اللغوية.

1. العنف اللغوي:

ويكون باستعمال اللغة بطريقة عدوانية وشكل مؤذ بصورة مباشرة أو غير مباشرة مما يُلحق إساءة بالناس، فتتأثر بذلك الحالة النفسية للفرد، ويتفاقم ذلك إلى نتائج لا تحمد عقباها، لتمس كذلك البنية الجسدية له. وبهذا الخصوص يتبين أن المقصود بالعنف اللغوي: "هو كل معنى مباشر أو موح أو علامة بصرية تحيل إلى تفسير لغوي تقصده الذات في استهداف الآخر موقفا وسلوكا، والأمر ليس غريبا فحينما يسمع فرد ما كلاما يثير حفيظته ويبعث غضبه الطبيعي فإنّ نوازع الذات تتحرك بعنف ما قد يكون جسديا بسبب ذلك العنف اللغوي للفهم الحرفي، لأنّ عنف المشاعر والغضب ومشاعر الذنب حالما تفسرها بالمعنى الحرفي للغة تصبح عنفا مؤلما ذا طبيعة جسدية"[2]؛ إضافة إلى ذلك نجد محمد عبد العاطي عبد الباقي عرفه بأنه: "مجموعة الرموز اللغوية الممارسة بعنف ضد الآخرين، والتي من شأنها أن تنتهك حرمة اللغة التواصلية والقيمية وتخرجها عن وظيفتها الاجتماعية"[3]؛ وتنص هذه العبارة على أن هناك نوعا من أنواع الرموز والشفرات تستخدم بطريقة غير لائقة بالغير، فتنتهك حرمتهم وخصوصيتهم، وتحط من قيمهم اللغوية فتزيحها عن وظيفتها الاجتماعية،

---

[1] ينظر: شكري الطوانسي: "سلطة الذات وبناء العالم السردي دراسة في روايتي: "الرعية" و"الجميل الأخير" لصلاح والي"، ص31.

[2] سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، دار الكتب 2 العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص277.

[3] يسمينة بن عمار, نجيب بخوش: "عنف اللغة في خطاب الفيسبوك بين المقصدية التأويلية وكشف التجليات الرمزية (مقاربة سيميائية للعنف الرمزي ضد المرأة الجزائرية) "، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع1، جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخموك، تامنغست، الجزائر, 2022م، ص861.

فتتسع بذلك الفجوة بين الفرد ومجتمعه. والغاية من دراسة هذه القضية هو التعرف على أهم مظاهر العنف اللغوي التي برزت في الرواية.

-الحرب:

هي ظاهرة من ظواهر العنف المسلح، ولغة للنزاع والقتال بين جماعات منظمة، المفسرة في ميدان العراك بالدم والدمار، تهدف إلى تحطيم الخصم لتنفيذ إرادتها، فهي الوسيلة الأكثر قصرا للدولة لتحقيق أهدافها وغايتها السياسية[1]. وهذا ما يؤكده قول زهير: "سراب كثير يزحف نحوي ويفتح فمه ليبتلعني.. حصار سراييفو في البوسنة والهرسك.. فوضى في رومانيا، إعدام تشاوسيسكو.."[2]، فزهير يعيد لنا شريط الذاكرة التاريخية خاصة الحرب العالمية، والأحداث الدامية التي زعزعت استقرار وأمن أوروبا فكانت أهمها الفترات العصيبة التي شهدتها البوسنة والهرسك، وكذا رومانيا.

كل هذا يجسد لنا مأساة دموية يعيشها المجتمع الغربي، كما يبين أن كل هذا التمرد لم يأت هكذا بل يخدم مصلحة شعوب تعاني الويلات والدكتاتورية. كما نجده يتحدث عن الصراع الأكبر بين الكتلتين الغربية والشرقية وانعكاسات ذلك على الدول المتخلفة، والتي لمّح الكاتب بأنها أكبر كذبة كشفت الستار عن رعونة الشعوب النامية، فيقول على لسان زهير: " هذه منطقة الضغط المنخفض القابعة بين المعسكر الغربي الذي مازال واقفا، والمعسكر الشرقي الذي لم تبق إلا أطلاله وبعض قصص ماضيه..."[3]، يبرز من خلال هذا السياسة المتوترة في تلك المنطقة، حيث تشهد غيابا كليا للأمان، لتكون بذلك منطقة الضغط المنخفض نقطة تقاطع بين معسكرين متعارضين غربي رأسمالي مازال قائما ومؤثرا في غيره، ومعسكر شرقي اشتراكي تراجعت مكانته وخارت قوته. ولم يكتف بهذا فقط، بل يضيف

[1] ينظر: غاستونبوتول، هذه هي الحرب، تر: مروان القنواتي، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1981, ص41.
[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص7.
[3] المصدر نفسه، ص7.

قائلا: "لم تبق سوى قصص تحكي تفاصيل ملحمة كاذبة اسمها الحرب الباردة، صدق العالم الثالث بأن مصيره محكوم برهاناتها، وحمي وطيس حربها في شرقنا فابتلع ملياراتنا على أبواب إيران وفي أعماق أفغانستان في صراع وقوده العرب وغنائمه ثرواتهم.. لم نكن نشك أن حلفاءنا وأصدقاءنا وقتها وجه جديد لاستعمار لطيف، لذلك تسابقنا لاختيار السيد الذي تنحني له ظهورنا من أجل أن يركبنا"[1]، هنايصور ما خلفته الحرب الباردة على العالم الثالث، ويبين كيف أن دولا أخرى كإيران، وأفغانستان...، كانت ضحية صراع وقتال قوتين، كبيرتين ومتضادتين، مركزا بذلك على ما نهب واستنزف من خيرات هذه البلدان، وأن هذا التحالف لم يكن إلا استعمارا لطيفا تسلل إليها باسم الحليف، فتنافست تلك الدول وتسابقت لانتقاء سيدها لتنحني له.

كما أنهم لم يكتفوا بذلك الحد من الدمار، فمخلفات الكذبة الكبرى (الحرب الباردة) ظلت قائمة طوال الزمن، ولم يبرحوا مبتغاهم أبدا حتى انتصروا ونالوا، فيقول زهير: ".... إنّه لا وجود لصراع أو حرب، لا باردة، ولا ساخنة، كل ما كان هو تنافس مصالح بين قطبين للاستحواذ على خيرات الشعوب الضعيفة، فصار العالم مقسما إلى تابع لهذا وتابع لذاك.."[2]؛ ونفهم من ذلك أن هذا الصراع سينشطر بسببه العالم وينقسم، فتكون هناك دول تتبع المعسكر الغربي، وأخرى يضمها ويحتويها المعسكر الشرقي، وبالتالي يكون هناك قوى كبرى تهيمن على العالم وتستحوذ على كل ما فيه، بينما تبقى شعوب الدول النامية فريسة للوحوش الغربية والمعادية للإنسانية. فهذا لم يشف غليلهم فراحوا يسعون إلى نقل الصراع إلى الشرق الأوسط بهدف التخلص منه، فيتحدث زهير مع مرجان قائلا: "في غمرة الخلافات بين الدول الغربية وهي تتصارع من أجل مصالحها في العالم الثالث، وبمناسبة تنافسها في الشرق الأوسط، ثم منح الكلمة في مجلس الأمن لدولة لا تسمح مقاييس الرسم بوضع نقطة للإشارة

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 8/7.

[2] المصدر نفسه، ص 102.

في الخريطة، فخاطبها ممثلها نظيره الروسي قائلا: "على روسيا أن تتوقف عن التدخل في شؤون المنطقة!"[1]، يتجلى في هذا المقطع نقد ساخر ولاذع للتجاذبات السياسية، وكيف أن الدول الغربية استغلت نفوذها لفرض هيمنتها، كما أن ممثل النظير الروسي طلب من الروس التوقف عن التدخل في شؤون الغير والبلدان الأخرى. إذ يقول زهير على لسان سلاف: "الروس دعموكم في حروبكم ولم يستعمروا أوطانكم لكن كما تقولون، بالنسبة لكم "يروح المسلم في سباب المجرم"..."[2]، فهو يصف موقفا استهزائيا من الأشخاص الذين يشيدون بسياسات الغرب ويثنون عليها خاصة السياسة الروسية، التي تدخلت كحليف لا كمستعمر للدول الضعيفة، لتسخر من خلال المثل القائل (يروح المسلم في سباب المجرم) فهي تريد تبليغ رسالة بأنهم رحبوا بما فعله الاتحاد السوفياتي في تلك الدول، على نقيض المسلمين الذين يتهمونهم بالتطرف والإرهاب.

ففي الجزائر بدأ الاحتلال الغاشم ببسط نفوذه في البلاد بعد غزو ميناء سيدي فرج سنة 1830، باستغلال حادثة المروحة التي كان القنصل الفرنسي ديفال يسعى لتدبير مكيدة يجتاح بها العسكر الفرنسي البلاد، والسيطرة عليها، فيقول في ذلك المؤرخ الفرنسي كاروا: "خلق أي سبب يسمح لفرنسا بإعلان الحرب على الجزائر قصد الاستيلاء عليها"[3]، فتقمص زهير بطل الرواية هذا القول، وهو يحدث نفسه مستذكرا الاحتلال الفرنسي وسطوه على أسطول سيدي فرج يقول: "أنف رغمت منه أنوف الفرنسيين منذ أن وطئت سواحل سيدي فرج، حتى غادرتها مكسورة الأنف"[4]؛ مبينا كيف هزم الجزائريون فرنسا، وأخرجوها مكسورة بعد الهزيمة التي تلقتها في بلد يفتقر للعدة والعتاد، موظفا بذلك (سيدي فرج) المنطقة

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص105.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] سيدي عبد القادر سباعي: "الغزو الفرنسي للجزائر، خلفياته وأبعاده"، مجلة البدر، ع6، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، أكتوبر، 2009م، ص60.

[4] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص55.

الساحلية التي كانت حلبة للغزو والقتال. فالصدفة التي جمعت زهير وعمي الصالح كانت خيرا من كل الصدف، بفضلها زاد وعي الراوي بقيمة الوطن وضرورة العودة إليه لاسيما بعد الحديث الثوري والوطني الذي دار بينهما، فيقول: "...ذلك الجندي الذي كان مجندا في الجزائر مع الاستعمار، وقد أخبرني بأنه سرقها وأخفاها عن بقية الجنود حين شارك معهم في مداهمة زاوية بإحدى القرى..."[1]؛ هذا المقطع يحاكي فترة تاريخية مرت بها الجزائر أيام حكم الاستعمار الفرنسي، أين شرّعت فرنسا قانون التجنيد الإجباري والذي لم تستثن منه إلا الفرنسيين، فحتى الجندي الذي يتحدث عليه إيطالي الجنسية، مثال عن عدد هائل من الشباب الذين أجبروا على التجنيد، والانخراط في صفوف العسكر الفرنسي بغية محاربة الجزائر.

فيحكي له عمي الصالح ما قص عليه صديقه عن مداهمتهم لإحدى القرى النائية، أين عثر في زاوية من زواياها على مخطوط يعود لحقبة زمنية مضت من تاريخ الجزائر. وبعد كل هذا هرب من قبضة جنودالعدو، فهو لم يتقبل فكرة تعذيب وتقتيل أناس أبرياء لا ذنب لهم فيما يحدث، وأن الأرض لهم وملكهم فيقول عمي الصالح: "...هربا من فرنسا التي أرغمته سلطاتها على المشاركة في قمع الشعب والتنكيل به خلال فترة تجنيده التي قضاها في الجزائر"[2]؛ فهو يبين لنا بأن صديقه الإيطالي واع وعارف بكل صغيرة وكبيرة عن الجرائم الفرنسية ضد الجزائر، فهو تورط في تعذيب المواطنين الجزائريين والتنكيل بهم دون رغبة منه، مما أدخله في حالة من اللاوعي فيتخذ قرارا مصيريا قد يلقى حتفه من بعد فعلته، فيهرب من فرنسا دلالة على رفضه لكل أنواع التعذيب وأشكال القمع، فسياسة فرنسا ضغطت على الجانب النفسي للجنود واعتبرتهم مجرد عبيد وجب عليهم خدمتها، والخضوع لها "يعد قانونا سياسيا ينص على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي، وذلك بصفتهم رعايا

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص128/ 129.

[2] المصدر نفسه، ص108.

فرنسيين"[1]؛ فهذا القانون يعتبر الجزائر فرنسية والجزائرين أتباعا لها، فهي السيد والمتسلط والمتطلع إلى إجبار الناس على الاندماج في العسكرية الفرنسية التي تنكل بالسكان المحليين للجزائر خاصة، فتستخدم القوة وفق ما يخدم مصالحها. فيتمرد الشعب ضد من سلبهم حريتهم، وحقوقهم، وكرامتهم معلنين ثورة نوفمبر العظيمة التي عدت "مشروع تصفية للاستعمار"[2]، هذا الشعار يهدف إلى إفشال جميع المخططات الاستعمارية والقضاء عليها في الجزائر، على جميع الأصعدة والمستويات، حتى تنال الشعوب المستعمرَة حريتها الكاملة، وهذا خير دليل على قيمة هذه الثورة وما خلفته في نفوس الجزائريين.

ويبرز ذلك من خلال الحديث النفسي لزهير: "ثورة نوفمبر أعظم من كل الإخفاقات، وأعظم أيضا من أي إنجازات، غدنا في يدنا، سنبحر ونسبق ونصل"[3]؛ فزهير يفخر بأهمية هذا الحدث التاريخي **ثورة نوفمبر** وما حققته من انتصارات وغلبة غيرت الواقع الأليم الذي عاشه الشعب، فيدخل بعدها في حالة من اللاوعي تجلت من خلال هجرته لوطنه متناسيا أو غافلا عن تضحيات الأبطال، إذ يظهر وكأنه تسامح مع فرنسا ونسي كل الحروب الشنيعة، والأذى النفسي والبدني الذي ألحقته بالشعب الجزائري، فغرست في نفس كل واحد منهم شرارة ولهيب الثورة، إذ يقول والده معاتبا إياه: "الرجال قاتلوا فرنسا، تفحمت جثثهم تحت قصفها، وحين خرجت لحق بها عديمو القلب والعقل..."[4]، وفيه وصف لمعاناة المجاهدين والثوار إبان الحرب التي خاضوها ضد الاستعمار الفرنسي، تصور العدد المذهل من ضحايا القصف التي صارت جثثهم رمادا بسبب فقدان الإنسانية والرحمة وغيابهما.

---

[1] عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرا معاصرة الفترة الأولى 1920/ 1926م، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1984م، ص33.

[2] ناصر الدين سعيدوني وآخرون: "الثورة الجزائرية في ذكرى انتصارها الستين: إعادة قراءة لمسارها، ومكانتها، وما تراكم من سرديات عنها "، ورقة مرجعية، المؤتمر السنوي التاسع للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 28/29أيار/مايو 2022م، ص1.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص111.

[4] المصدر نفسه، ص137.

ولم يقتصر ذلك الخراب على الجزائر فقط بل طال حتى العراق التي غزتها أمريكا، فعاش الشعب بين نارين الأولى الاحتلال والثانية المد الشيعي، فيقول نوزاد: "...ولم تشفع لي مواقفي الداعمة للعراق قبل الاحتلال الأمريكي وبعده، لم تشفع لي مواقفي ضد المد الشيعي ومساندتي للقومية العربية في الإفلات من المتابعة"[1]، في هذا المقطع تظهر الشخصية محبطة، وتتحدث بحسرة عن فشلها وعجزها عن الحصول على العفو من طرف السلطة العراقية، فيرى بأن جهوده، ومواقفه ذهبت سدى ولم تنفعه مساندته للعراق ضد الغزو الأمريكي، ولا ضد المد الشيعي.

فحرية التعبير في الدول العربية لها خطوطها الحمراء، يظلم نفسه من تعداها. فدول المشرق العربي، والحجاز نالت نصيبها من مشاريع ومخططات الغرب في الاستيلاء عليها. فسوريا هي الأخرى لم تسلم من سياسة انتهاك الأرض العربية، وما حدث فيها لا يتقبله عقل الانسان، خاصة ما حدث بسبب الربيع العربي سنة 2012/2011، بحجة الجهاد الإسلامي، ونسب التطرف من غير وجه حق بأنه لوجه الله بغية تطهير البلاد المسلمة من دنس المستعمر[2]. يقول نوزاد محدثا إبراهيم (زهير) بعد سماعه خبر المظاهرات في سوريا:

"– الجميع يتحدث عن فوضى في سوريا...

– بين من ومن هذه الحرب؟

– يقولون إن المظاهرات تملأ الشوارع وقد نادت جماعات بالجهاد!"[3]، فحوارهما يصف الوضع في سوريا، والفوضى التي دمرتها، متسائلا بذلك حول من يصارع من؟، ليجيبه نوزاد بأنها دعوات ونداءات جهادية قلبت السلم إلى قتال ونزاعبالرصاص مما فاقم الوضع في بلاد

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص66.

[2] ينظر: "عشر سنوات على انطلاق "الربيع العربي"... "الحلم" الذي لم يكتمل"، فرنس 24 https://www.france24.com، 1ماي 2024، 21: 34.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص79.

الأمويين، وزاد من حدة الصراع. ووصولا لأرض الكنعانيين (فلسطين) الأرض المباركة التي يهدف الصهاينة إلى إقامة دولة بها، وما أزم الوضع، وانتهك أمن الظروف وعد بلفور الكاذب، والذي هجر بسببه الملايين من الناس من أراضيهم، لتُحتل فيما بعد البلد، لينادي الجميع بتحررها، فيقول زهير: "فلسطين على مرمى حجر من هنا، لو كانت لنا حدود معها حسمنا الأمر تجاه الاحتلال.. تتحرر أو نزول جميعا من خريطة العالم"[1]، يبرز هذا المقطع الارتباط الوثيق بكل ما هو فلسطيني وما ينسب إليه، فهو يحاول تبيان موقفه، وصوته الداعم للقضية الفلسطينية بهدف نصرتها.

وبالتالي يطمس آثار الاحتلال الصهيوني ويقضي عليه، مسلما بفكرة إما تتحرر فلسطين أو نزول بزوالها. ليأتي فيما بعد زهير متحدثا عن الجذور الأولى لنشأة فلسطين وتعاقب الأجيال عليها، فيقول: "فلسطين أرض عربية، أقام فيها اليهود سبعين سنة فقط في عهد النبي داود.. تعاقبت شعوب كثيرة على هذه الأرض ولكنها لم تزعم بأي حق لها فيها.. هي اكتفت بوصف وجودها احتلالا، إلا الإسرائيليون اليوم!.."[2]؛ يدل هذا المقطع على الوضع الراهن في أرض المقدس، إذ يواجههم زهير بحقيقة حاولوا التستر عليها وإنكار أنهم أقاموا فيها لمدة زمنية قصيرة في عهد النبي داود، فحتى الأجيال الذين سكنوها قبلهم لم يطالبوا بها، ولم يدّعوا بأنّ الأرض لهم، وهذا ما دفع بزهير لتبيين موقفه المدحض لما يعرف عندهم بحق الإسرائيليين الصهاينة في هاته الأرض المباركة، فهي احتلال غاشم ومغتصب للحقوق، والأعراض... إلى يوم يبعثون.

ففي السياق ذاته نجد زهير الشخصية البطل يتحدث عن سهرتهم الأخوية مع عباس الفلسطيني، وكيف تم استقباله بحفاوة من طرفه هو ومرجان كجزائريين داعمين لقضية أرض الزيتون فيقول: "... في الجدار المقابل للباب علم فلسطين معلق إلى جانب علم الجزائر،

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

وفي الجدران الأخرى قصاصات ورقية تتضمن قصائد حول فلسطين وصورا للقدس.."[1]، نجدها للدعم الكبير والمواقف الثابتة للجزائريين تجاه القضية الفلسطينية، فالأعلام والقصاصات المعلقة على الجدار توحي بأهميتها ومدى تأثيرها في الوعي الجمعي العربي خاصة الشعب الجزائري. وخير دليل على ذلك العبارة التي قالها المندوب الجزائري في مجلس الأمن عمار بن جامع لصديقه الفلسطيني رياض منصور: "أنا وراك دائما..."[2]؛ فحنكته جعلت موقفه القوي الذي عجزاليوم كثير من قادة العرب عن فعله البطولي.

كما أن الفلسطينيين ظلوا متنكرين خوفا من الاضطهاد والهجمات، والتمييز العرقي والقمع ويظهر ذلك من خلال ما قاله عباس لزهير: "كل ما عرفته عني صحيح، عدا الاسم، فأنا لست عباس، ولا يهمك معرفة اسمي الحقيقي، ظروف الفلسطينيين خاصة الذين يقاومون الاحتلال دفعتهم للعيش بوثائق مموهة، وأسماء وهمية، وغالبا ما نجدهم متدربين على استعمال السلاح ومكونين استخباراتيا..."[3]؛ هنا يسلط الضوء على صعوبة عيش المواطن الفلسطيني خاصة التابع منهم لحركة المقاومة ضد الاحتلال بحرية واستقلالية تامة، مما يضطره إلى انتحال هويته، وتزييف اسمه حتى يحافظ على سلامته ويضمن العيش. كما أن هؤلاء حسب قول عباس يتلقون تدريبات استخباراتية ودفاعية ويتكونون فيها لمواجهة الأخطاروالقتل والعوائق اليومية. وما هذا إلا إبادة وتخريب مفتعلين من طرف عمالقة السلطة الغربية للقضاء على العالم النامي بصفة عامة، والعربي بصورة خاصة.

فصديق زهير القبائلي وشريكه في الغرفة الجامعية حكى له عن نظرية الإبادة فيقول: "مفكرو الغرب وفلاسفتها يتدارسون نظرية الإبادة... للتقدم والخروج من الأكواخ..."[4]؛ يتضح

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص110.

[2] قويدر زيداني: "أنا وراك دائما".. رد مندوب الجزائر على زميله الفلسطيني يلفت الأنظار، الجزيرة :https //www.aljazeera.net، 15: 40، 10 ماي 2024.

[3] الطاهر مرابعي من يستأجر لي وطنا؟، ص116.

[4] المصدر نفسه، ص73/72.

بأن الدول المركزية والمهيمنة تسعى لفرض سيطرتها الغربية وبسط نفوذها على دول الهامش وتبذل قصارى جهدها لتقزيمها، فهي تستنزف خيراتها وتنهب ثرواتها، تسلبها حقها، وتدمر أمنها واقتصادها، كما تعطل عجلة التنمية والازدهار.

-التفكك الأسري:

تعد الأسرة الحلقة الذهبية في المجتمع، إن صلحت صلح الأفراد كلهم، وإن ساءت ساء الجميع، فهي المنبت السليم لبناء شخصية الإنسان، والوسيلة الأولى لصقل مهاراته، ورفع قيمته، فهي دار الأمان، والركيزة الأولى لتطوير الذات. وهذا ما أقر به علماء الإسلام، فأعطوها تعريفا بأنها: "الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه"[1].

وعلى نقيض العالم الغربي الذي قوض الأسرة فترى بأنه: "دمر الأسرة من خلال وجود الحرية المطلقة الكاملة للفرد، وبالتالي لا يمكن غرس قيم أخلاقية وحدود لعلاقة الأبناء بالآباء والأمهات، إذ يتخلى الابن أو الابنة بمجرد بلوغهم السن القانوني"[2]؛ ترتكز هذه الفكرة على خطورة الحرية الزائدة في نهش القوامة الأسرية ونخرها بنيتها، مما أدى بالعائلات الأجنبية إلى التشتت والتفكك بسبب تردي المبادئ والأخلاق، فعندهم بمجرد بلوغ الشاب أو الفتاة سن الرشد يستقلون بذاتهم ويعيشون بعيدا عن دفئ الأسرة. ويتجلى هذا من خلال سؤال محمد لإبراهيم عن أبويه فيجيبه منظرا لذلك بين عالمين مختلفين فيقول:

"- هل أبواك مازالا حيين يا إبراهيم؟

[1] محمد عقلة: نظام الأسرة في الإسلام، ج1، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط2، 1989م، ص18.

[2] علي ديمير: كيف دمر الغرب مفهوم الأسرة في مجتمعاته، وكالة أنباء تركيا https: //tr.agency/news، 05 ماي 2024، 12: 30.

– سؤالك ينتمي إلى عالمنا وليس عالمكم! نحن فهمنا أنكم في الدول الغربية تخليتم عن التكافل الاجتماعي! هل بقي لهذا النوع من السؤال مكان بينكم؟ أنتم منحتم دور الأسرة لمؤسسات الرعاية، التنظيم عندكم بلغ درجة إعفاء المجتمع من التكافل مع الطبقات الضعيفة، عكسنا نحن الذين مازالت مسؤولية المجتمع تقليدية عندنا، فرعاية الأبوين عندما يكبران مسؤولية الأبناء"[1]؛وهنا نجده يقارن بشدة بين التكافل الاجتماعي عند العرب الذين يخضعون للقيم الاجتماعية والأسس الدينية في تأسيس أسرهم على عكس المجتمع الغربي الذي ألقى بالمسؤولية الأسرية على عاتق منظمات الرعاية وأعفى الأسرة من كل التزام وكسر كل روابطها الاجتماعية.

وهذا ما أكد عليه عمي الصالح في قوله حينما سئل عما إذا كان له أبناء، فيجيب وقد نال منه الوجع: "_لدي ثلاثة أبناء... لا تسألني مرة أخرى هنا تختلف التقاليد، الأبناء انصرفوا كل لوجهته، البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سن الثامنة عشر، أما الولد فسافر مع صديقته إلى ألمانيا منذ سنوات ولا أعلم عنه شيئا، أما البنت الأخرى فلا معنى لوجودها بالنسبة لي.. الأبناء هنا ليسوا مثل الأبناء عند العرب، الأسرة أيضا شيء آخر.. ليس هذا خطئي.."[2]؛ فهذه التحولات الكبرى ضعفت التكافل العائلي فضرب لنا عمي الصالح مثلا بأبنائه الثلاثة الذين قطعوا علاقاتهم العائلية وصلتهم بها، وكسروا الروابط العاطفية. ففي الغرب يحظى الأولاد باستقلالهم الذاتي، خاصة عندما يبلغون سن الرشد. ويرجع هذا الاختلاف والتباين إلى نمط الحياة غير المألوف بالنسبة للشخص العربي، فلا ثقافة مشابهة لثقافته، ولا القيم الاجتماعية نفس القيم، إذ لمح عمي الصالح إلى أنه لم يخطئ في حق عائلته، بل اضطر إلى التعايش مع هذه التغييرات التي لا تحكمها التقاليد المتعارف عليها عند العرب والشرقيين رغما عنه. كما يضيف مؤكدا على ما سبق: "... كنت أظن أني

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 88.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

حصلت على كل شيء هنا، ولكنني اكتشفت بأني فقدت كل شيء حتى أبنائي غير موجودين بالنسبة لي، رحلوا وتركوني.. لا تزعم بأنك ستنجح في تربية أبنائك وفق عادات وطنك وتقاليده، سيفلتون من يدك..."[1]، ففي هذا المقطع يبرز موقف مليء بالتشتت والتبعثر والضياع (كنت أظن أني حصلت على كل شيء هنا)، يرمز إلى إحساسه وشعوره الأولي بالاطمئنان والسكينة، إلا أنّه بعد برهة من الزمن أدرك بأنه فقد كل شيء، حتى أولاده تخلوا عنه فدخل في مرحلة خيبة وحزن كبيرين.(حتى أبنائي غير موجودين بالنسبة لي، رحلوا وتركوني..)، فتتبين لنا الفجوة العاطفية بين عمي الصالح وأبنائه الذين تركوه وحيدا.

ليضيف (لا تزعم بأنك ستنجح في تربية أبنائك وفق عادات وطنك وتقاليده، سيفلتون من يدك)، وفي هذا الجزء يتضح استسلامه وامتثاله للخسارة محاولا إقناع نفسه وزهير بأنه لن يفلح في تربية أولاده وفق العادات والتقاليد في بلاد العرب، بل هم من سيظفرون بحريتهم. وفي موقف آخر يتحدث عن التكافل والتآزر الاجتماعي الذي يميز العرب حتى وإن هجروا أوطانهم، فعندما اشتد عليه المرض ولزم الفراش في المستشفى كان زهير الشخص الوحيد الذي يزوره ويمد له يد العون رأفة بحاله يقول: "كنت ابني وأسرتي ووطني"[2]؛ هنا يصف الاتصال والارتباط المتين بين الفرد وأسرته ووطنه، وأنه مكلف برعايتها، معتبرا بذلك نفسه جزءا من وطنه وأنه ينتمي إليه دون غيره.

ففي هذه الحالة صور لنا بأنّ الشخص ينتقل من الوعي إلى اللاوعي، لم يكن في الوهلة الأولى على دراية بكل ثغرات الحياة وهواتها حتى وقع في فخها وأدركها. وفي السياق ذاته نجد الأنا والغير الأولى مثلت الذات الواعية بما حولها وما تشعر به، والآخر المعبر عن الذات اللاواعية المسيطرة على تصرفات الفرد وأفعاله دون وعي منه. كما لم يُغفل الطاهر مرابعي في روايته الحديث عن حرية المرأة التي غيرت دورها وأصبحت تتساوى مع

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص113.

[2] المصدر نفسه، ص 128.

الرجل في كل صغيرة وكبيرة، فعند الغرب المرأة تسبق ذاتها على حساب غيرها، تتخلى عن أسرتها ودورها الاجتماعي في ذلك، مما يولد تفككا وتشتتا أسريا كبيرا، إذ يقول عمي الصالح: "... إلى أن تزوجت بامرأة أوكرانية، وفي أوديسا قضيت كل حياتي، لكن النساء ملة واحدة، لا فرق بين عربية وفرنسية وأمريكية.. بسبب خلافات بسيطة قامت بطردي من المنزل، ولم تحترم عشرة السنوات التي كانت بيننا، حيث أحضرت الشرطة"[1]؛ فعمي الصالح لم يحس بشعور الأمان والفرح مع زوجته طيلة السنوات التي قضوها معا، وراح يعمم الأمر على جميع نساء العالم، وأطلق عليهم أحكاما مسبقة بغض النظر عن انتماءاتهن وثقافاتهن وحتى جنسياتهن، نتيجة التجربة السلبية والسامة التي عاشها معها، فهي طردته من المنزل واستدعت له الشرطة، إذ يذكر أحد الدكاترة النموذج الغربي المنادي بتحريرالمرأة، نتيجة انسلاخه وتجرده من كل المنظومات الدينية، والقيمية، والحضارية، والفلسفية، والاجتماعية، لتتخلى عن علاقتها الأسرية وتتحرر من شكلها الشرعي والتاريخي[2].

فبهذا الصدد نجد عمي الصالح يحدث زهير عن رفيقه الإيطالي الذي حدثت معه نفس المشكلة وسمحت فيه زوجته هو الآخر فيقول: " وحين دخل أوكرانيا قرر أن يتزوج بامرأة وأخذها معه إلى إيطاليا حيث عاشا هناك مدة طويلة، ثم عادا إلى أوكرانيا واستقرّا بها، ووقع في المشكلة نفسها التي وقعت فيها معها"[3]. هنايوضح لنا أمرا مهما بأن المشكلة تكررت في نطاقين جغرافيين متباينين وزمنيين مختلفين، فهي تكمن في التوافق بين الزوجين داخل أسرهم، والتفاهم بين الناس.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص107.

[2] ينظر: ندى بنت عطية بن راشد الزهواني: " مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي دراسة نقدية"، مخطوط بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجيستير في الثقافة الإسلامية، إشراف عبد الله بن محمد العمرو، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، 1434/ 1435هـ، ص26.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 108.

-الهجرة غير الشرعية:

يراها أهل القانون بأنها الانتقال من مكان إلى آخر بطريقة سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا، "الحرقة" بمعنى حرق كل الأوراق والروابط التي تربط الفرد بهويته على أمل أن يلقى هوية جديدة تناسبه في البلد المستقبل[1]. ما نفهمه من هذا أن الهجرة عبارة عن سفر بطريقة غير قانونية، أو دون الحصول على تأشيرة من طرف السلطات المختصة (القنصلية)، نتيجة الفقر، والحروب، والظلم، وكل الظروف القاهرة والاضطرابات السياسية التي تعيشها البلاد. فيواجه فيها المهاجر مخاطر عديدة على مدى رحلته كانتهاك حقوقه كإنسان، واعتقاله وتعذيبه.

فنجد السارد في الرواية يحكي عن فترة ما بعد الثمانينيات، وزمن الاشتراكية وغياب الديمقراطية، يقول زهير: "... واستيقظ على أخبار قوارب الموت للمهاجرين السريين المتوجهين نحو أوروبا وهي تملأ الآفاق، فغامر بركوبها بحثا عن بصيص أمل في أي زاوية من العالم يمكن أن تحتويه.."[2]؛ يصف لحظة سماعه خبر هجرة الشباب في قوارب الموت نحو أوروبا، التي يراها الشباب الأمل الوردي، الذي سيغير حياتهم ويحسنها نحو الأفضل، وبالتالي يتخلص من اليأس والسخط الذي اعتراه في بلاده، ففي هذا السياق تبرز درجة وعي زهير بحجم المخاطر التي ستواجهه خلال رحلته على متن قارب الموت، إلا أنّه في الوقت ذاته يُقر بما تقره العاطفة والأحاسيس دون وعي منه.

كما نجده في مقطع آخر يحاول التخلص من هذه الفكرة ولعنتها التي حلت به حتى كادت تمرده على وطنه فتبعده عنه وتقطع صلته به، إذ يقول: "أصبحت أبحث عن مزيد من الكراهية لفكرة الهجرة، أمضي وقتي في تتبع العقبات، أبحث بعين السخط عن المساوئ..

---

[1] ينظر: عبد النور ناجي: "الأبعاد غير العسكرية للأمن في المتوسط ظاهرة الهجرة غير القانونية في المغرب العربي"، مداخلة في الملتقى الدولي "الجزائر والأمن في المتوسط "، 30/29أفريل 2008م، جامعة منتوري، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسنطينة، ص119.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص69.

نفسي بحاجة إلى شحنة مثقلة ومشبعة بقناعات جديدة، أرغب بتصحيح نظرية البقاء في علاقتها بالوطن..."[1]؛ في هذا المقطع نجده يبحث عن دوافع وعلل تحفزه على كره الهجرة، فراح يبحث لها عن بعض السقطات التي تمكنه من ذلك، رغبة في إيجاد قناعات جديدة يبصر بها قيمة بلده وأهميته في حياة الفرد.

ليأتي دور والده في استنكار هجرته وما يفعله الجيل الجديد، فبعدما حارب المجاهدون فرنسا وحرروا البلاد هاهم اليوم يفرون من أرض الوطن ويهجرونها، فيقول والد زهير معاتبا: "... ثم يأتي جيل ينتحر في البحار من أجل ركعة عند قدميها.. لماذا عدت؟"[2]؛ في هذا المقطع سلط الضوء على المكانة الكبيرة التي منحها الشباب الجزائري للهجرة على حساب وطنهم، فوقعوا في فخ الارتياب بين الرغبة الشديدة في الهجرة وتحقيق أحلامهم والبقاء في الوطن، ليأتي السؤال (لماذا عدت؟)وكأنّه يسأله عن سبب عودته إلى وطنه بعد هذا الاختيار والمدة التي قضاها هناك، والمخاطرة المهولة التي كادت أن تكسر علاقته به. وبعدما ظن الجميع أنه قد قضى نحبه في عرض البحار ومات غرقا. فيحدث نفسه متعجبا من لغو الناس الذي انتشر في أرجاء القرية في غيابه فيقول زهير: "أتعجب للناس الذين شيدوا بطولة على مغامرة مجنونة ركبت فيها الطائرة وحولوها دون أخذ معلومة أو إذن مني إلى أسطورة كبيرة، وتناقلوا خبر قارب ركبته ثم هبت عواصف عنيفة عليه قبل أن يصل إلى الشاطئ وتكسر بي"[3]؛ هذا المقتطف يتحدث عن تعجب زهير وحيرته مما روج له الناس عن هجرته نحو الضفة الأخرى(أوروبا)، بدون استئذان ولا تأكد من صحة المعلومات المتداولة فيما بينهم، حولوها إلى أسطورة خطيرة مشبعة بالمجازفات القاتلة، ومن ثم أكمل وصف المغامرة التي بني هيكلها من طرف أهل القرية، والتي انتهت بنهاية حزينة إذ مات بعد هبوب عاصفة حطمت القارب وآمالهم قبل كل شيء.

---

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 95.

[2] المصدر نفسه، ص137.

[3] المصدر نفسه، ص138.

ليتبين لنا وكأنّ الطاهر مرابعي يوجه رسالة توعية للشباب يحذرهم من خطر الخوض في مثل هذه التجارب التي تلقي بهم إلى التهلكة، وقبل الهجرة وجب توفر كامل الشروط اللازمة لذلك خاصة القانونية منها كي يتفادوا ما ينجم عنها من عواقب جسيمة تدمرهم، وتؤدي بحياتهم إلى الأذى والضرر.

-الإسلاموفوبيا:

نوع من التحامل والعداء الثقافي الديني، توصف بالعداوة والكراهية ضد الدين الإسلامي خاصة دون غيره من الديانات السماوية الأخرى، ويبرز ذلك من خلال التفرقة العنصرية والتعصب ضد المسلمين. فمن وجهة نظر الباحثين الغربيين فهو: "نتاج اجتماعي للخوف والتحامل على الإسلام والمسلمين، بما في ذلك الممارسات التي تستهدف التهجم أو التمييز ضد أشخاص أو عزلهم على أساس افتراضات ارتباطهم بالإسلام"[1]، ويشير هذا القول إلى ظاهرة دينية واجتماعية، تتمثل في إثارة الخوف وزرع الرهاب العقائدي والإجحاف في حق الإسلام والمسلمين، فتقصيهم بسبب ديانتهم ومعتقدهم. وفي هذه الحالة تعتبر التوعية بمكانة الإسلام، والحوار ومكافحة هذه الظاهرة الحل الأمثل لضمان حقوق الأقليات وحمايتها، بتحقيق العدالة.

ففي وسط المتن الحكائي وجهت سلاف أصابع التطرف لعبد الله عزام تقول: "عبد الله عزام، هو أول العرب الأفغان ومعروف بفتاواه الجهادية، هو ليس عالما، هو مجرد داعية متحمس، هذا ما يقال عنه؟"[2]؛ هنا زهير يدافع عن الداعية العربي المتحمس عبد الله عزّام، الذي كتب فيه بن لادن مقالا يطعن في شخصه، وفتاواه، ذنبه الوحيد أنه دعا لمشروع الجهاد والقتال في سبيل الله. وهو من أبرز المنادين بالصراع في أفغانستان وكان له دور

[1] حسناء عبد الله أحمد صالح: "ظاهرة الإسلاموفوبيا(المفهوم, النشأة,أبرز الجهات المساهمة في إذكاء الظاهرة)"، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، ع01,جامعة غرداية، الجزائر، جوان2020م، ص270.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 57.

فعال في ذلك بالرغم من أنه ليس عالما ولا رجل دين. إذ يحاول زهير توضيح فكرة الجهاد من الناحية الشرعية، وحقيقة هذا الرجل بطريقة أخرى فيقول: "فكرة الجهاد هذه لا أساس شرعي لها، المسلم لا يقتل أخاه المسلم، تحدث العلماء عن الجهاد عندما كان قتالا ضد الاحتلال، أما بينهم فلا جهاد.. عبد الله عزام حمل لقب المجاهد وأول الأفغان العرب عندما حارب السوفيات في أفغانستان، لكن عندما صار القتال بين الطوائف المسلمة سقط وصف الجهاد عن أفعاله، يمكنك أن تفتحي موضوعا آخر"[1]، في هذا المقطع يحاول تطهير صورة الإسلام المدنسة والمحرفة، كما يشير إلى أنه لا يبرر القتال إلا في الحالات التي تتطلب ذلك، فأعداء الدين يسعون لتحوير معنى الجهاد وتشويهه وكيفية استخدامه على مر التاريخ ضد الاحتلال والغزو الأجنبي، فالمسلمون لا يحاربون إلا نصرة للدين والوطن في سبيل الله.

وما يؤكد على تلك الفترة العصيبة التي عصفت رياحها الدامية بمجموعة من الدول والحرب الأفغانية تقول سلاف: "أبي مات مقتولا مع تنظيم القاعدة، وقبل أن يموت، كنت أعيش معه.. انتقلت معه إلى أفغانستان.. أبي تخلى عن ثروته الطائلة، وتخلى عن أمي أيضا من أجل الجهاد"[2]؛ فهي تحدثت عن والدها الذي تخلى عنهم وعن ثروته، وانتقل للعيش بأفغانستان مهد الحروب والصراع آنذاك هو وابنته، والتحق بتنظيم القاعدة التي ضحى بنفسه وحياته لأجلها. كل هذا من شأنه أن يزيد من حدة الكراهية والبغض للمسلمين.

فهذه الصورة السلبية المحرضة على الإسلام وأنصاره فترد سلاف على سؤال زهير حول ما تدرسه وتتلقاه في المعهد الماسوني قائلة: "_ لا، نحن نحارب المسلمين فقط.. ستعرف أكثر عن العالم ومن يتحكم فيه عندما أحضر لك كتاب "أحجار على رقعة الشطرنج".. اليهود يطوّقون العالم من كل جهة"[3]؛ هذا الجزء يصف الكراهية والعداء العنيف

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص58.

[3] المصدر نفسه، ص59.

تجاه المسلمين، معتقدا بوجود مؤامرة يديرها اليهود الصهاينة كي يستولوا على العالم كله ويتحكموا فيه. فالتساؤل المطروح لم لا يرتبط اسم الديانات الأخرى بالفوبيا كاليهودوفوبيا، المسيحوفوبيا؟ رغم كل ما ألحقوه من ضرر بالعالم، إلا أن لا أحد يتحسس من وجودهم، فالبغض والاستنكار يتزايد ضد الدين الإسلامي فقط، فنجد ذلك ما هو إلا "خوف أو كراهية أو عداء مبالغ فيه ضد الإسلام والمسلمين وتهميشهم وإقصائهم من الحياة"[1].

فالغرب يتسامحون ويتحاورون دينيا وعقائديا فيما بينهم، إلا مع الدين الإسلامي فتجدهم متحيزين، يحقدون على كل من يعتنقه أو يدعو لنصرته..، فيتحدث نوزاد عن مواقفه الدفاعية عن القومية العربية ضد المد الشيعي في العراق: "... لم تشفع لي مواقفي ضد المد الشيعي ومساندتي للقومية العربية في الإفلات من المتابعة"[2]، في هذا الجزء يتحدث النادل الكردي عن تجربته في كتابة المقال السياسي في ظل التضارب والصراع الديني والسياسي، ففر من الاعتقالات والمضايقات التي لحقت به من طرف السلطة الحاكمة في البلاد.

فنتيجة الجهل بالدين الإسلامي والسعي لتشويه صورته خاصة المخططات السياسية والأيديولوجية منها، وهذا الموضوع قائم على الجدل الواسع في محاربة الإسلام، فيحدث زهير عباس عن سلاف قائلا: "... وتدربت على تفكيك المنظومات الإيديولوجية وجماعات الرأي عند المسلمين بهدف نشر الفوضى، لكنها قررت التوبة وهربت من أصدقائها وصارت تدعو إلى الدين وتحارب الكفر، وهي تقول بأن الجهاد يبدأ داخل الدول المسلمة من أجل إعادة المجد وتصحيح المسار وبعدها يأتي دور الجهاد في الكفار"[3]؛ فبعد وعيها المتأخر بأن محاربة المسلمين دون جدوى إذا حمل فيها السلاح، راحت تدعي التوبة واعتناق الدين الإسلامي وتتبع طريقه.

---

[1] كربوسة عمراني: "ظاهرة الإسلاموفوبيا: المفهوم والآليات"، مجلة العلوم الإنسانية، ع44، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2016م، ص76.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص66.

[3] المصدر نفسه، ص118.

وبالتالي ندمت وقررت التكفير عن كل الخطايا السابقة، فحسب قولها بأنّ الإصلاح وجب أن ينطلق من عمق الدولة ومن ثم يمتد إلى الكفار والجاهلين بالدين الإسلامي، وكأنها تسعى لتبلغ رسالة مفادها من آمن فليبدأ بتغيير نفسه أولا، ومن بعد ذلك يعمم الفكرة على البقية. فتغيرت كامل تخيلاتها إزاء محاربة الإسلام وعرفت بأن البلبلة والقتال خسارتهما أكبر من السيطرة على عقول الناس.

2. الازدواجية اللغوية:

ظاهرة لغوية اجتماعية، تتجلى في تعدد المستويات اللغوية داخل المجتمع، إذ أن هذا النظام اللغوي يختلف حسب تأثره بلغة أو لهجة كل منطقة من مناطق البلد، فنجد بذلك أنفسنا بين لغة عامية وأخرى رسمية، إضافة لذلك يمكن إقحام اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة الأم. وهذه الخاصية تندرج كذلك ضمن مصطلحات علم اللغة النفسي بحيث نتقابل مع حالة من الوعي تنتاب الفرد حين يتواصل مع الآخرين مستعملا بذلك لغة مفهومة بينهم، وبالمقابل نجده يخضع لجانب لاواع كانتمائه لمكان أو بيئة اجتماعية معينة[1].

فهذا الاختلاف اللساني خلق لنا معضلة صارت بمثابة هاجس يهدد اللغة الرسمية لكل بلاد،نظرا لما تتطلبه الحاجة الحياتية من تباين ألسني استحوذ على أغلب حواراتهم فهي: "ليست مقتصرة فقط على وجود لهجتين في المجتمع إحداهما فصيحة والأخرى عامية تشمل اللهجات والأساليب المختلفة للهجة الواحدة في اللغات المختلفة، فوصف ازدواجية اللغة لا يهم إن كانت لهجتين أو أسلوبين أو لغتين أو خلافهما، ولكن المهم هو أن يخدم أحد هذه الأشكال الوظائف العليا بينما يخدم الشكل الآخر الوظائف الدنيا"[2]، ومنه فإنّ الازدواجية اللغوية لا تقتصر على لغة، أو لهجة بذاتها، بل تشمل عدة تباينات لسانية مست مختلف

[1] ينظر: إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق،، (د، د)، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ/ 1996، ص82.

[2] صالح بلعيد: "اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر"، مجلة اللغة الأم، ع09، الجزائر، 2023م، ص 17.

المعايير المشكلة للكلام، ليكون بذلك المقصود منها تمكين الأفراد من الفهم والتفاعل فيما بينهم. ويتجلى في صلب المادة الحكائية الموقف الذي تعرض له زهير حين استقل سيارة الأجرة فيقول: "قبل أن يكسر سائق سيارة الأجرة جدار الصمت بإلقاء تحية إنجليزية على سلاف، يخبرها بأن الغرفة جاهزة وبأني بحاجة إلى الراحة قبل اكتمال المساء، مرددا "الطريق بعيدة نحو نيقوسيا.. الطريق بعيدة نحو نيقوسيا"" [1]؛ فهذا المقطع يصف الحوار الذي دار بين سائق سيارة الأجرة وسلاف اللذان يتقنان اللغة الإنجليزية، والممثلان لصورة الأنا، مقابل زهير الطرف الثالث المعبر عن الآخر القادم من بلد عربي والعاجز عن فهم وإتقان اللغة الرسمية لتلك البلد، كما أشار إلى مدى اهتمام السائق به كضيف مغترب وشعوره بالمسؤولية تجاهه لجهله بخبايا المنطقة، إلا أنه وفي إطار زماني نفسه، ودون وعي منه عبر بلغته الأم وهي اللغة الأولى في العالم من حيث الاستعمال في الدول المستقطبة للمهاجرين.

لذا فمن الضروري اكتساب ثقافة لغوية مغايرة للغة الأم لأن: "اللغات تساعدنا في الشعور بالعالم ويمكن أن تؤثر على الطريقة التي نراه ونصفه بها"[2]؛ يؤكد من خلال هذا على أن اللغة لا تقف عند التفاعل البشري فقط، وإنما هي وسيلة لفك الشفرات الثقافية وفهم الواقع المحيط بنا، فيضبط تصورنا لذلك ويفسره بدقة، فنجد الراوي يقول: "يقترب من النادل ويشير بالتحية منحنيا... يسأله أحمد بلغة هجينة عن الأطباق التي يقدمونها للزبائن ثم يترجم لي بالعامية الجزائرية.."[3]، من هذا القول يتبين لنا أن هناك تفاعلا لغويا وثقافيا بين النادل (نوزاد) ذي الأصول الكردية السورية، وأحمد الجزائري أين يسعى كل منهما للتواصل باللهجة واللغة التي يتقنها الآخر بشكل أفضل، كما حظيت الترجمة بالنصيب الأكبر في

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص9.

[2] ثنائي اللغة أفضل (فقط لا تصدق كل التهويل)، https: //www.ef.com، 03 مارس2024، 12: 30.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 24.

إعادة الصياغة والإنتاج، وقول نفس المعنى بنفس الدقة اللغوية للغة الأم التي قيل بها[1]؛ فلم يقتصر هذا التنوع اللغوي داخل الرواية على اللغة المنطوقة فقط، وإنما استحضر الكاتب حتى اللغة المكتوبة إذ تتصادف مع قول الراوي: "...وماهي إلا لحظات حتى وصلنا إلى شارع قريب، توقفت أمام محل فخم له واجهة مكتوبة بالإنجليزية "كومبيوتر بسعر رخيص.."[2]، في هذه الحالة يصور لنا لمحة خاطفة عن تجربة عاشها زهير في وقت قصير جدا، إذ نفسر وجود (واجهة مكتوبة بالإنجليزية)، وضعت على واجهة المحل بهدف جذب كل الناطقين باللغة الإنجليزية سواء مواطنين أو سياحا، فهنا اعتمد على التنوع اللفظي والدلالي ليعطي تصورا مميزا يلفت به انتباه الناس ويشده إليه.

بالإضافة إلى ذلك يتبين لنا الموقف الحاصل بين سلاف وإبراهيم بقوله: ".. وهي تنطق بكلمة روسية بعد مصافحة إبراهيم"، وفي السياق نفسه نجده يقول: " مينيا زاغوت يوري".. يبتسم شيخ يرافقهما يقول بالعربية" إنه يحييك، هو يقول لك اسمي يوري"[3]؛ يدل هذا المقطع على أن هناك شخص أجنبي وسط الحوار ألقى التحية باللغة الروسية_ لغته الأم_، فيترجم له إبراهيم العبارة لأنه واع باللغة الأصل ليوري وخلفياتها الثقافية، بينما العوامل النفسية تنعكس على ما يفسره دون وعي منه، وبذلك تتأثر العملية السردية.

كما لا يخفى على أحد منا بأن الطاهر مرابعي سعى إلى إبراز السنن الثقافية الخاصة بالجزائر فنجد شخصية البطل تقول على لسان صديقه خالد: "... كان يردد بلهجة منطقة الغرب عندكم "نموت عليك".."[4]؛ هذا الشق يشتمل على عديد الركائز الثقافية والاجتماعية فعبارة (نموت عليك)، توحي بكمية المشاعر التي يود البوح بها مستعينا بلهجة عامية غربية

[1] ينظر: أحمد مداس: " الترجمة الطبيعة والأداء والتقويم"، مجلة كلية الآداب واللغات، ع8، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جانفي2011م، ص11.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص39.

[4] المصدر نفسه، ص36.

جزائرية، مما يؤدي ذلك إلى تقوية روح التحاور بطريقة إيجابية بين أفراد المجتمع، وفي هذا الصدد يمكننا القول بأنّ اللهجة الجزائرية تجسد العلاقات الاجتماعية وتعزز الوعي الجمعي "العامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانا تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها"[1].

وفي السياق ذاته نشير إلى ما قاله زهير حينما استرجع ذكرياته في مدينته سطيف تلك المدينة الحضارية العريقة والتي تستقطب عديدا من الزوار سنويا فيقول واصفا: "... تسمع أصوات شباب الباعة في أسواق العلمة الراقية وهم يعرضون سلعهم على حافة الطريق للمارة..."[2]؛ هذا المقتطف (أصوات الشباب الباعة في أسواق العلمة)، يمثل جانبا من الهوية الثقافية لتلك المقاطعة، فهذا الوصف السردي له ميزة استثنائية في الحياة المعتادة، يمثل جزءا من حركة النشاط الاقتصادي، والتواصل الاجتماعي في الأسواق الشعبية.

وفي إطار المنظومة العامية وتنامي الوعي الاجتماعي وتطوره، وامتزاج اللهجات واللغات في الجزائر نجد المبدع يأخذنا في رحلة بين مناطق الجزائر مبرزا الصلة بين ذلك فبعد الغرب، نحط الرحال في سهرة الأصدقاء الأمازيغ المعتزين بلغتهم ووحدتهم، إذ يتضح ذلك من حديث ساعد حين حدث مرجان ضاحكا: "" يمّاك آيا عرابن"، ثم يترجم لـ مرجان.. أتسمع؟ هو يقول لي.. أمك أيها العربي"[3].

وبالتالي: "فإنّ الأمازيغية في الجزائر رغم صورتها الشفوية فلازالت مستعملة في التواصل اليومي من قبل الناطقين بها..."[4]، كما صور لنا لحظة لقاء زهير ومرجان بالشيخ

---

[1] عبد الملك مرتاض: العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى (سلسلة الدراسات الكبرى)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2012 م، ص7.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 41.

[3] المصدر نفسه، ص99.

[4] كريمة نعلوف: "توظيف اللهجة القبائلية والعربية العامة في الخطاب التعليمي الجامعي (خطاب طلبة وأساتذة جامعة بجاية أنموذجا)"، مجلة الكلم، ع7، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، ديسمبر 2018م، ص10.

المتشرد الذي حرك بكلماته القوية حب الوطن، وذكرهم بشأن الانتساب له، والعيش فيه ملحا على ضرورة ذلك، مما يؤكد على قيمته العظيمة لدى المغتربين عنه، فبينما كان الصديقان يتشاطران أطراف الحديث في أرض أعجمية إذ بذلك المسن الذي يبيت في العراء يتسلل كطرف ثالث في الحوار فيقول السارد في ذلك: "_أنت تتكلم اللهجة الجزائرية هل أنت جزائري أم عملت فيها مع الشراكة الأوكرانية؟.. نحن من منطقة الشرق.

– أنتما من قسنطينة أم جيجل أم سطيف.. أم بجاية؟

– نحن من سطيف.. هل تعرفها؟"[1]؛ من هذا الحوار نستنتج بأن الشيخ يحاول الكشف عن هوية الشخصيتين لأنه لاحظ من لكنتهما بأنهما جزائريان، فيشك بأنهما ينتميان إلى الشرق الجزائري فيسألهما بغية التأكد من ذلك، ليثبت له زهير ارتيابه حول أصلهما، بأنهما من الجهة الشرقية وبالتحديد من ولاية سطيف، حتى يتيقن عمي الصالح من صحة معلومته، وهذا ما يمنح لكلامهم الانسجام والاستمرارية. وعليه فاللغة العامية تؤثر في الوعي الفردي والقومي بسبب توظيفها لتبيان الهوية الثقافية للإنسان، كما تستخدم كمفتاح للتواصل والترابط بين البشر، فتفتح بذلك الباب أمام الإدراك والفهم في عمق الوسط الاجتماعي فهي: "لغة الحديث اليومي الدارج ولغة الحياة العامة بكل ما فيها من أوجه النشاط الإنساني على مستوى الجماهير العريضة"[2].

كما لا يخفى علينا أن للعربية شأن عظيم وقيمة في جميع شؤون الحياة، فحتى كلام الله تعالى نزل بلسان عربي، وبفضلها يبنى العلم والمعرفة، "تعد اللغة العربية ركنا من أركان التنوع الثقافي للبشرية، وهي إحدى اللغات الأكثر انتشارا واستخداما في العالم"[3]؛ هذا القول

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص106.

[2] كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1998، ص227.

[3] العربية: لغة الشعر والفنون، احتفالية 2023، الأمم المتحدة https: //www.un.org/ar، 20: 30، 29 أفريل 2024.

يبين أهمية العربية في التباين الثقافي، وكذا تعدد اللسان البشري، كما أنها انتشرت بفضل الهجرة النبوية، الفتوحات الإسلامية...، فنجد في الرواية قول زهير: " أهمس لأحمد

– يبدو عربيا.. أو متعودا على خدمة العرب أغتنم فرصة قلة الزبائن وأحاول أن أستعمل كلمات فصيحة معه..

– هل تفهم العربية جيدا؟

نعم، يا أهلا وسهلا..."[1].

يبين لنا هذا الجزء بأنّ الشخصين المتحاورين أحدهما أو كلاهما من أصول عربية أو مطّلع على مقومات الثقافة العربية، كما يشير إلى أن زهير انتهز الفرصة في اللحظة التي نقص فيها الزبائن ليتحاور مع أحمد بلغة فصيحة، مما يوحي بأنه يكن له اهتماما خاصا وتقديرا كبيرا، متسائلا عما إذا كان النادل يستوعب اللغة العربية بشكل جيد أم لا، مشيرا بذلك إلى استعداده وقدرته على التعامل معه بالعربية.

وخلال حديثه عن التواصل بين شخصيات الرواية نرى زهير يروي عن حادثة لقائه مع النادل بقوله: "لحسن الحظ، هو أول شخص ألتقي به في الداخل.. يسبقني بالتحية، تذكر وجهي، واضح ذلك من كلامه بالعربية"[2]؛ تعبر هذه العبارة عن حجم المشاعر المختلطة بين الفرحة والحظ السعيد، حين كان الشخص (النادل) الذي يبحث عنه منذ مدة طويلة هو أول من التقى به، وما زاد من ابتهاجه ورضاه بذلك عندما استطاع بسهولة تذكر ملامح وجهه والتعرف عليه، وبالتالي فاستخدام العربية هنا يعزز قيمة العلاقة الثقافية المشتركة بينهما، فهي حاملة للرسالة الإسلامية والقرآن الكريم، وركيزة كل ما ينتج عنهما من

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص24/ 25.

[2] المصدر نفسه، ص 50.

فكر وحضارة، فبفضلهما صارت لغةَ أمم وشعوب بعدما كانت لغة قبائل، لذلك لا يمكن أن تُحَد بحدود متحدثيها، لأنها خاطبت كافة الناس[1].

وهذا ما تجسد بشكل واضح في الحوار القائم بين زهير ونوزاد خلال سفرتهما نحو ألبانيا: ".. هل يحتاجون هنا إلى مدرسين للعربية في الجمعيات أو المساجد؟...انتبهت إلى فكرة جيدة.. الألبان ليسوا عربا، رغم أنهم مسلمون، سوف نشغل معرفتنا بالعربية للعمل"[2]؛ تجلت في هذا القول الرغبة الشديدة التي تملكت زهير ورفيقه _في السفر_ في تعليم اللغة العربية لفئة من المسلمين الأعاجم، فيقترحون فكرة قد تكسبهم ربحا قليلا، وفي الآن ذاته تلبي حاجيات الأقلية المسلمة وسط مجتمع مسلم غير عربي، وهذا ما يفسر تآزر المسلمين وتوادهم الذي دفع بهم للتفاعل بينهم دون مراعاة لأصولهم العرقية.

مبرزا بذلك الطاهر مرابعي موضعا آخر أثنى فيه أولئك القوم على عظمة اللغة العربية وقيمة الناطقين بها فيقول زهير: "السلام عليكم... ينتبه الناس داخل المسجد إلى طريقة نطقنا للسلام.. يفهمون أننا عرب.. أهلا بكم، نفضل أن يصلي بنا عربي، فالنبي عربي، والقرآن بلغة العرب.."[3]؛ يوضح هذا المقطع حالة من الوعي الجمعي الديني، يتبين لنا عبرها اهتمام الناس بكل ما هو عربي، وأن في الدين الإسلامي تستحب الصلاة باللغة العربية استنادا لما جاء به النبي _صلّى الله عليه وسلم_، فحتى كلامه عز وجل نزل بلسان عربي... فيبرز في هذا الموضوع تقديس عظيم للمعتقدات والشعائر الدينية واللغوية، وإسهامها الكبير في إثارة التعاضد ضمن الوسط الديني. ونوضح في هذه النقطة أن انتباه الناس وفطنتهم لطريقة إلقاء التحية، ولغة نطقها الفصيحة، يوضح حالة من الوعي والإدراك

[1] ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، حوار اللغة" إعداد حافيظ الإسماعيلي العلوي"(سلسلة اليقظة اللسانية)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2007م، ص169.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص76.

[3] المصدر نفسه، ص77.

بسلامة اللغة، ولم يكن ذلك حنكة آنية وفقط بل هو وليد مبادئ دينية ومعرفة ثقافية سابقة، وفي الجهة المعاكسة فإنّ تفضيلهم لكل ما له صلة بالثقافة العربية خاضع لتأثير اللاوعي.

وهنا يتلاقى الإدراك واللاإدراك لتنظيم وضبط السلوك الإنساني والمعايير الاجتماعية. ومن هذا المنطلق نفتح المجال أمام تجربة ثقافية لغوية مذهلة ومثيرة تجمع بين ثنائيتي الوعي واللاوعي، وبالتالي تتحفز العملية التواصلية البشرية فيتحقق بذلك الاندماج الاجتماعي، إذ نجدها في دراسات أخرى تقوم على كفاءة الفرد في التحكم في اللغة واستيعابها بسهولة مشابهة لطلاقته في استعمال اللغة الأم بين أفراد المجتمع[1]. يستند هذا القول على فكرة أن الأفراد الذين يكتسبون خبرات تستخدم بطريقة سلسلة وعفوية كاستعمالهم للغتهم الأم، مشيرا إلى أن التمكن من هذه اللغة الإضافية الثانية يختلف من فرد إلى آخر تحت تأثير العوامل الخارجية. فيتجلى ذلك من خلال قول إبراهيم: "بالمناسبة.. أنت لا تتقن الروسية ولا الإنجليزية، أخبرتنا سلاف بأن لسانك مطواع في الفرنسية، ولكن بكل أسف، الفرنسية لا تفيدك في وظيفتك معنا.. أحيانا داخل باريس نفسها لا تفيدك الفرنسية، تمنيت لو أنك تتقن الإسبانية، فهي لغة تنقذك في مواقف كثيرة في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية"[2]؛ فهو يصف حسرته على عجز زهير تحدث اللغتين الروسية والإنجليزية، ملمحا إلى أن تحدثه باللغة الفرنسية غير مجد ولن يغنيه ولن يسمنه من جوع، فهو لن يفيده حتى وإن سافر إلى باريس، ثم عبر له عن رغبته في أن يتعلم اللغة الإسبانية نظرا لأهميتها ورواجها في نطاق جغرافي واسع كأوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية.

فكل هذا يبين مدى التأثر والتأثير بين اللغة الأصل للفرد واللغة الثانية المكتسبة في الحياة اليومية وحاجته الماسة لذلك، وهو يرسّخ الإدراك الثقافي والتلاحم بين أفراد المجتمع.

---

[1] ينظر: دليلة فرحي، "الازدواجية اللغوية مفاهيم وإرهاصات"، مجلة المخبر، ع5، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2009م، ص4.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص40.

بالطريقة نفسها يدور النقاش بين الصديقين زهير ومرجان حول تكوين هذا الأخير باللغة الروسية، راغبا في معرفة الفائدة المحققة من التعرف على المرجعيات الثقافية لهذه اللغة، غافلا بذلك عما قد تمنحه له هذه الزيادة اللسانية في حياته، فهذا الانفتاح الثقافي واللغوي يقوم على المعرفة بكل الثقافات الإنسانية دون إلغاءأو إقصاء بعضها، فيتحقق بذلك التواصل الإنساني، فتفتح أمام الفرد آفاق جديدة بخلفية فكرية متنوعة، فيتمكن من امتلاك رؤية مستقبلية[1]. خاصة وأن الكاتب اليوم يعيش في كنف العصرنة والعولمة الثقافية، فأصبحت بذلك اللغة هي السبيل الوحيد للانضمام في بنية ثقافية واجتماعية متماسكة.

إذ يبرز رده على زهير في قوله: "لم أغير تخصصي، ومن الصعب أن أفعل ذلك في الأدب الروسي، أنا أدرسه باللغة العربية، إلى جانب دراسة اللغة الروسية، فهذا من شروط التكوين هنا، لاحقا سأعلمك الروسية! "[2]، هذا المقطع يكشف الستار عن التحديات التي واجهت مرجان خلال فترة تكوينه بروسيا، كما بين أن جمعه بين التخصصين لم يكن اختيارا عشوائيا وإنما هو مدرك وواع بكل ذلك، مما اضطره لدراسة الأدب واللغة الروسية معا.

كما أنّه منذ أن هاجر إلى هناك لمواصلة تعليميه العالي في الجامعة الروسية كان عازما على بلوغ أهدافه رغم كل المعيقات التي واجهته وأحاطت به، فهو متفان ويسعى بشكل دائم لكسب المعرفة، حتى أنه أخبر زهير بأنه سيعمل على تعليمه اللغة الروسية في المستقبل. وعليه فإن الوعي واللاوعي بإمكانهما أن يؤثرا بعمق في الطريقة السردية التي وثق بها الروائي للظروف المحيطة بالشخصية وكيف استطاعت التغلب عليها، فحديث زهير ومرجان كان مطولا وشيقا لم يقتصر على الجانب اللغوي فقط، بل كان يحمل في طياته موضوع العودة إلى الجزائر فيقول السارد: "تعود إلى الجزائر وتشارك في مسابقة توظيف

[1] ينظر: حنان مراد، حنان مالكي: "أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري "دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة "دراسة استكشافية "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (د، ع)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، (د، ت)، ص 545.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 99.

لتدرس اللغة الروسية؟"[1]؛ في هذا المقطع مزج بين حب الوطن، ورغبة زهير في التطلع لما يخفيه صديقه مرجان، فبعد كل هذه الكبوات، والاجتهاد والسعي في تحصيل لغة جديدة (الروسية) طيلة هذه الفترة الزمنية، يسأله عن مخططه بعد عودته لبلده، ما إذا كان سيشارك في مسابقة التوظيف بعد كل هذا العناء والجد في التعلم، وإحراز المعرفة، والإلمام بالثقافة الروسية. إلا أن هذا كله أملته تأثيرات الوضعية النفسية على الفرد وقراراته في الحياة، ومدى انعكاساتها على ذلك.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص106.

ثالثا: تناغم الوعي بالموت المجازي.

نجد في هذه الرواية تمكّن الكاتب الطاهر مرابعي من إعطاء صورة حقيقية ونظرة شاملة عن غياب الوطن الذات ؛أي عن الإنسان الفاقد إلى أبسط الحقوق الإنسانية التي جعلته يعاني الهوية الضائعة والكرامة المفقودة، والآلام النفسية...التي تحفر في أعماق ذاته جُرحًا غائرًا يؤدي به إلى الموت المجازي الذي أضحى جليًا في كثير من مناحي الحياة، إذ يعود استخدامنا لهذا المصطلح كناية عن هدم الذّات واللّذة لأن تجربة الموت أعلى درجات الألم.

ومن هنا نقول إنّ الرواية تعتبر وترًا من أوتار الوعي والواقع، إذ أصبحت "محايثة لكل التطورات التي تطرأ على فكر الإنسان في مختلف مناحي ومواطن التفكير بل ومؤثرة فيها بما يسمح للرواية أن تكون فاعلا ناجعًا، في تأثير على واقع الحياة.."[1]، وباعتبار أنّ الرواية فاعلا ناجعًا نجدها زعزعت الوعي الذي طغى على الواقع الاجتماعي والسياسي وحتى الديني وجعلته يتناغم مع الموت المجازي الذي أصبح شبحًا لم يفارق شخصيات الرواية وخاصّة البطل _زهير _.

1. الوعي السياسي:

تعتبر السياسة من المحاور الأساسية التي استعان بها الكاتب في تشكيله للمتن الحكائي في قالب سردي توثيقي جمالي، يجعل القارئ يتابع بوعي فطِن سيرورة الأحداث ويدرك أوضاع مجتمعه ويفهمها، ومنه فإنّ الوعي السياسي هو "مجموعة من القيم

[1] عادل العناز: التمثيل التأويلي للتّاريخ في الرواية العربية دائرة الثقافية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019م، ص18.

والاتجاهات والمبادئ السياسية التي تُتيح للفرد أن يشارك مشاركة فعّالة في أوضاع مجتمعه ومشكلاته ويحلّلها ويحكم عليها،...من أجل تطويرها وتغييرها "[1].

ومن خلال حديث الروائي عن مختلف المراحل السياسية والتاريخية التي مرت بها الجزائر عبر التاريخ يبرز لنا بوضوح إشكالية (الهوية) في المجتمع الجزائري التي طرحها على لسان السارد البطل الذي انشقت ذاكرته وانشطرت من خلال ما آل إليه وطنه بعد الاستقلال وخاصة بعد الثمانينيات، وهذا ما يتجلى في قول زهير: "بعد الاستقلال عاش الجيل الأوَّل من الشباب عصره الذهبي، فكانت جذوة الروح الوطنية ملتهبة وقادة البلاد يرسمون المشاريع الاقتصادية ويخططون لمجتمع المستقبل...وجاء جيل الثمانينيات، حيث بدأت الآفاق تضيق، إلى أن وصلت الأزمة إلى عنق الزجاجة وضاعت مكاسب زمن الاشتراكية تحت طموح حياة الرفاهية التي أفلت شمسها..."[2]، ومن هذا المقطع يتضح لنا تصريح زهير عن الأوضاع السياسية التاريخية التي آلت إليها البلاد من ظلم وعنف واضطهاد نفسي في حق الأنا ومحاولة طمس مختلف معالمها وإلغاء وجودها. كما قارن لنا بين جيلين من الشباب ؛الجيل الأول الذهبي والجيل الفاشل الذي ينتمي إليه أمثال زهير، وهو جيل دفع ضريبة من قبله، ويتسبب في نكسة الجيل الذي سيأتي بعده، كما وجد _هذا الجيل _آفاق وطنه مليء بالأزمات والاضطرابات والفجوات في النظام السياسي، مما أدى إلى انتهاك الدستور والقوانين السارية في البلاد التي تضبط سيرورة النظام العام، وهذا ما جعل السياسيين يغرّدون خارج السرب، ودفع بوعي الشباب إلى التطلع نحو آفاق الهجرة، وهذا ما نجده قد حدث مع شخصيات الرواية وخاصة البطل زهير الذي أُصيب بالموت المجازي نتيجة وعيه بالتلاعبات السياسية التي تحدث في وطنه، إذ جعلته يترك ذاته الوطنية تنساب في ذات الآخر.

---

[1] نادية محمد على عبد الله العازمي: "الوعي السياسي: الاتجاهات الفطرية المفسرة له والمفاهيم المرتبطة به "، مجلة بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية، ع21، مركز بحوث الشرق الأوسط، مصر، سبتمبر 2023 م، ص140.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص69/68.

كما نجد الكاتب ارتكز على عالم التصريح والتنفيس، ليبثّ من خلاله رسالة تحمل عنوان الوعي السياسي في الجزائر، ليكشف فيها عن القضية والتلاعبات السياسية التي تغذيها الأطراف الخارجية _الغرب_، وهذا ما يتّضح في قول سلاف: "هم يوفرون الحماية لحكامكم في المحافل الدولية، ويضغطون عليهم لممارسة الاستبداد والظلم عن طريق مؤسسات الأموال العالمية التي بأيديهم، ثم يحرّضونكم للثورة عليهم، وفي الأخير يتهمونكم بالإرهاب.."[1]. ومن هنا يتبيّن لنا أنّ سلاف واعية بكل الحقائق و المخططات الدونية المستخدمة من طرف الآخر ضد الأنا التي أذاقها صنوف القهر والإهانة والعنف كي يُحطّم ذاتها ويقضي على آمالها وأحلامها بطريقة غير مباشرة وراء أكذوبة الديمقراطية كما قال زهير: "الديمقراطية أكذوبة الغرب التي قصمت ظهرنا "[2]، ومنه فإنّ الآخر _الغرب_ اعتبر الديمقراطية ورقة رابحة من أجل إذابة الذات الوطنية في الذات الأجنبية و"إفراغ عقل الإنسان الجزائري من هويته وشخصيته "[3]، وإعادة نسج وعي الأنا الوطنية ضمن المفهوم الذي وعاه الآخر.

وبالتالي فإنّ هذه العبارات السابقة (إذابة الذات الوطنية، يحطّم ذاتها، إفراغ عقل الإنسان الجزائري من هويته وشخصيته،..) وغيرها من العبارات التي تدلّ على الموت المجازي الذي أصاب الأنا الوطنية. إذ يتبين لنا من وراء هذا القول (يحرضونكم للثورة عليهم وفي الأخير يتهمونكم بالإرهاب) أنّ الآخر يسعى إلى تحريض وإقناع الأنا بفكرة الجهاد باعتبارها من أخطر التلاعبات والأفعال التي تعمل على تقويض النظام السياسي للبلاد كما تزرع في المجتمع الفتن لتجعل المواطنين منشطرين وضائعين في بلاد الآخر، ومثالا لذلك ما وقع لزهير الذي انشطرت ذاكرته الواعية وتحطّمت ذاته نتيجة لتلك التلاعبات، وهذا ما

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص62/61.

[2] المصدر نفسه، ص71.

[3] بوعلام صوافي: محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، ص45.

دفع به إلى أن يترك وطنه كي يقوِّم وعيه ويعالج ذاته بين أحضان الآخر، لكنّ هذا الأخير كسر توقعه وجعله يحمل في نفسه جثة ذاته وأحلامه وهويته ويتجوّل بها من بلد إلى آخر.

وفي مقطع آخر من مقاطع الرواية نجد زهير يقول: "علّمتنا التجارب أنّ السياسي ينتهج منطق المساومة في أي موقع يكون، فهو يساوم الرئيس عندما يكون في المعارضة، ويساوم المعارضة عندما يكون رئيسًا."[1]، فما يميّزُ هذا المقطع هو أسلوب السخرية والاستهزاء من السياسيين الّذين لا يُبالون بالشعوب وما يحدث حولهم من صراعات ديمقراطية وصراعات المناصب، بل همهم الوحيد مصالحهم وتلبية حاجياتهم على حساب المواطن بأي طريقة كانت، أما المواطن فهو من يدفع ضريبة ذلك وتبقى ذاته ترتع في مستنقع اللامبالاة والإهمال والخطر، وهذا في حد ذاته موت مجازي وافتراضي.

فباعتبار أنّ الضعف الذاتي وضعف الوعي السياسي من أخطر ما يحطم المجتمع، فإنّ الكاتب أراد من خلال هذا الجانب تقوية الوعي السياسي وبثّ الحياة داخل الأنا وذلك من خلال التناقضات الموجودة في الواقع السياسي والتي تجعل وعي المواطن متذبذبًا وتشعره بالاغتراب في وطنه، وبالتالي يكون أكثر عُرضة للتطرف والاشتراك في الأعمال الجهادية التي تؤثر على المجتمع وتقضي على الأنا الوطنية. إذ أنَّ هذا البوح الذي لجأ إليه الكاتب جعل الفرد واعيًا بكل هذه المؤامرات ويقوِّم وعيه السياسي وينقذه من شباك الموت المجازي، وذلك من خلال تمسكه بروح الوطن والوطنية وتقوية شعوره بالانتماء الوطني.

2. الوعي الاجتماعي:

إنّ وعي الإنسان بكل ما يحيط به من عالمه الخارجي يجعله يدرك نفسه وذاته، وذلك لا يتم إلا بانسجام الوعي مع المجتمع ليشكلا معرفة إنسانية قيّمة، باعتبار أنّ المجتمع رقعة جغرافية يسكنها مجموعة من الأفراد تضبطهم قوانين ومعايير يفرضها النظام السياسي

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 71.

وعادات وتقاليد تورَّث من جيل إلى جيل، وكُلّها تمثل الواقع الاجتماعي الذي يُشكّل الوعي الإنساني، يقول كارل ماركس: "ليس وعي الناس هو الذي يحدّد وجودهم وإنّما وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم "[1]. وبالتالي فإنّ الوعي الاجتماعي هو " مجموعة من الأفكار والمفاهيم والثقافات التي يكتسبها الفرد وتمثل انعكاسًا لمفهومه الشامل لذاته وقضايا مجتمعه والعلاقات الاجتماعية فيه وتاريخه وحاضره،..."[2]. ومن هنا نفهم بأنّ هذا الوعي هو استيعاب الفرد للواقع الاجتماعي بما فيه من قيم وحقائق محيطة به، وبغيابه ينتشر الضعف والفساد والاضطهاد النفسي المحطّم للذات.

وفي الرواية التي بين أيدينا يتّضح أن الكاتب الطاهر مرابعي سلط الضوء على شكل آخر من أشكال الوعي وهو الوعي الاجتماعي، وذلك من خلال شخصيات روايته، خاصّة البطل زهير الذي تحطّمت ذاته الوطنية وأضحت تعاني موتًا ذاتيًا نابعًا من الأنا الواعية بما حولها من عنف واضطرابات نفسية اجتماعية يُنفذها الأعضاء المتوطئون مع الأطراف الخارجية لتحقيق مصالحهم من خلال تأثيرهم في المجتمع، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والظروف المعيشية لدى المواطن الجزائري وخاصة زهير، وهذا ما يتّضح في المقطع الآتي: "..أنت لم تهرب من وديان أشجار الجزائر..أنت هربت من مجتمعك.. هربت من مشاريعك الفاشلة فيه..هربت إلى أفق مستحيل في وطنك..."[3].وكذلك يقول زهير: " تمنعني بقايا شهامة وكرامة حملتها معي إلى نيقوسيا من أن أقول لها جئت أبحث عن الحياة في عالم أفضل، جئت أبحث عن عمل ومستقبل"[4]،...وغيرها من المقاطع التي تؤكد أنَّ هذه الظروف أفقدت زهير طعم الحياة وأشعلت في نفسه شرارة الاغتراب والإحساس

[1] رزان أحمد: الوعي الثقافي، 17أفريل 2024، 9: 55، موقع ديباجةhttps: //debajh.wordpress.com.

[2] سعود بن سهل القوس: " دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي الاجتماعي دراسة ميدانية على عينة من الشباب السعودي بمنطقة الرياض"، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، ع10، الفيوم، مصر، 2018م، ص08.

[3] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص15.

[4] المصدر نفسه، ص 28.

بفقدان هويته وكينونته وضياع ذاته... وكل ذلك يصبّ في بوتقة واحدة وهي غياب الوطن وغياب الذات، وهي ثنائية نشأ عنها صراع بين الذات والمجتمع الذي يدفع إلى المجهول، وهذا ما حدث فعلًا مع شخصيات الرواية، فنجد زهير استبدل تلك الظروف الاجتماعية بالهجرة، ليَبحث عن هويته الضائعة وحياته المفقودة بين أحضان الآخر، وقطع صلته بالعلاقات الاجتماعية التي زادت من آلامه وخدشت ذاته وذكرياته التي حرّكت أحاسيسه المدفونة داخل خزانة اللاشعور هاربا من واقعه مصطدمًا بالواقع المزيف الذي رسمته له سلاف، بقوله: "...ووعدتني بأني سأعيش حياة أفضل هناك... "[1]، فهذا القول دليل على تمسك زهير بالآمال المزيفة وبفكرة الهجرة طمعًا في أن يعيش هنيئًا فيها، لكنّه أصيب بخيبة كبيرة نتيجة لِمَا لقاه من اضطهاد نفسي وصعوبات واختلافات بينه وبين الآخر. ومنه فإنّ كل هذه العبارات والأمثلة السابقة خير دليل على شباك الموت المجازي الذي وقعت فيه الأنا.

كما وظف الكاتب شخصية العم صالح كمنبه لزهير لإيقاظ وعيه حول حقيقة الآخر باعتباره مثالا حيا عن ذات انقهرت وانكسرت على يد الآخر، لذلك نجد العم صالح يمثل وحدة تختزل العالم بأكمله بما يحتويه من اختلافات موجودة بين الأنا والآخر ؛و المتمثلة في العادات، والثقافات، والأفكار، والتقاليد، والأخلاق، وحتى العقائد الدينية، باعتبارها قيما اجتماعية تعكس لنا الواقع الاجتماعي الذي يعدّ "محصلة سوسيونفسية للفرد تجاه الواقع بما يضمن الاستمرار الفكري والمادي والنفعي "[2] ؛لأنّ البيئة الاجتماعية تؤثر على وعي المواطن سلبًا أم ايجابًا، باعتبار أنّ وعي الفرد لا يتحدد خارج البيئة المحيطة به. ومنه يقول العم صالح: "تزوجت بامرأة أوكرانية،...بسبب خلاف بسيط، قامت بطردي من المنزل، ولم

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 117.

[2] مصطفى شربال، الطاهر بلعيور: "الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع "، ص103.

تحترم عِشرة سنوات التي كانت بيننا، حيث أحضرت الشرطة."[1]، ويضيف قائلا: "لديّ ثلاثة أبناء وهنا تختلف التقاليد، الأبناء انصرفوا كلٌّ لوجهته، البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سن الثامنة عشر، أما الولد فسافر مع صديقته إلى ألمانيا منذ سنوات..."[2]، وهما مقطعان يعكسان لنا ثقافة أمة بأكملها، كما يمثلان لنا الواقع الاجتماعي للمجتمع والإنسان الغربي _الآخر_ والطبيعة الغربية التي تعكس واقع الأنا. إذ يتّضح لنا من ورائهما آلام العم صالح الذي انكسرت كرامته بسبب زوجته وأبنائه، بالإضافة للعادات والأعراف الغربية التي سلبت ذاته وأعرافه الاجتماعية الدينية، وجعلته يعاني موتًا مجازيًا راجعًا لفشله في حفاظه على وعيه الاجتماعي العربي وهو بين أحضان الآخر، مما أدى إلى نجاح هذا الأخير في تحطيم الوعي العربي ونشر الوعي الأوروبي بعاداته وأعرافه داخل أعماق أبناء العم صالح، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على تغلّب وعي الآخر على وعي الأنا.

إن الكاتب الطاهر مرابعي أراد من خلال هذا الجانب الاجتماعي، جعل البطل يفهم ذاته التي انسابت ماهيتها في الآخر ويدرك الواقع الاجتماعي بجوانبه المختلفة، وذلك من خلال الاختلافات الموجودة بينه وبين الآخر والتي جسّدتها شخصية العم صالح، من أجل أن يقوي ويقوِّم الوعي الاجتماعي عنده وعند جميع القراء ويجعلهم يتمسكون بعاداتهم وأعرافهم، كي يبنوا علاقات اجتماعية واعية وجديدة تختلف عن القديمة وتتغلب على شعور الوحدة والفقدان والضياع والموت.

3. الوعي الديني:

يحتل الدين مكانة بارزة في تفكير ووجدان البشر أفرادا كانوا أم جماعات، فلا يوجد هناك أقوى تأثيرا في النفوس من العاطفة الدينية[3]، باعتبار أنّ الدين هو الذي ينظم العلاقات

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 107.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

[3] فاطمة محمد فتح الله أبوراس، رويدا رمضان الفتني: " الوعي الديني وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طالبات كلية التربية خمس "، مجلة العلوم الانسانية والتطبيقية، ع22،، جامعة المرقب، ليبيا، مارس 2021م، ص 635.

ويهدي النفوس، وبالتالي فإنّ الوعي الديني هو "مجموعة الضوابط الإيمانية والاجتماعية والسلوكية التي تحدد سلوك الإنسان ومعتقداته في المجتمع المسلم."[1]، ومنه فإنّ الوعي بالدين له أهمية في حياة الإنسان لما يحققه من استقرار نفسي وحضور ذاتي يثبت هوية الإنسان ويساعده على التعايش مع الآخرين.

تعد رواية من يستأجر لي وطنا؟ للطاهر مرابعي فضاءً يجمع بين أشكال مختلفة من الوعي، ومن بينها نجد الوعي الديني الذي لم يستغن عنه الكاتب بل اتخذه وسيلة للإفصاح عن غياب الوعي الديني في الحياة الاجتماعية الذي نتَج عنه نشر الاغتراب والتدنيس الديني بكل سهولة في المجتمع، وهذا ما كسر ذات الكاتب وأرهق ذاكرته، لذلك نجده لجأ إلى ربط الوعي بالدين ليَنشُل المواطن من محطة الموت المجازي ويوجه له رسالة غير مباشرة ليبثّ فيه روح الوعي ويجعله أكثر وعيا وإدراكا بكل المؤامرات التي تُحاك من طرف الآخر للمساس بالجانب الديني الإسلامي والقضاء على الأنا الوطنية.وهو الأمر الذي سعت إليه شخصية سلاف _الآخر _ التي تتطلّع جاهدة إلى تضليل الذات المسلمة وتشويه الدين وذلك من خلال تشبيه أعماله بالأعمال الدونية المتطرفة، وهذا ما يتجلى في حواراتها مع البطل زهير_الأنا_ فتقول: "علينا أن نصلح شأننا نحن المسلمون، علينا الاحتكام إلى شريعة الإسلام، وحينها نتمكّن من مجاهدة اليهود.."[2]، و تضيف: "عبد الله عزام، هو أول العرب الأفغان ومعروف بفتاواه الجهادية، هو ليس عالما، هو مجرد داعية متحمّس، هذا ما يقال عنه؟"[3]، وتقول أيضًا: "أصبحت مقتنعة بضرورة الجهاد ومحاربة اليهود،...يجب أن تجيبني،

[1] فاطمة محمد فتح الله أبوراس، رويدا رمضان الفتني: " الوعي الديني وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طالبات كلية التربية خمس "، ص 641.

[2] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 61.

[3] المصدر نفسه، ص57.

هل تساعدني وتقف إلى جانبي."[1]، فهذه المقاطع تمثل رمزًا يوحي إلى التدنيس الديني وذلك من خلال نشر الفتن والمحرمات الدينية التي يسعى إليها الآخر.

وفي مقطع آخر من مقاطع الرواية تقول سلاف: "..نحن نحارب المسلمين فقط.."[2]، فمن خلال هذا المثال والأمثلة السابقة يتبيّن لنا أنّ هذه الشخصية _سلاف_ وظّفها الكاتب بهدف تقوية الوعي الديني وكشف كل المؤامرات والأعمال والجوانب الخفية التي يسعى لها أمثال سلاف _الآخر_ الذين يحرّضون العرب المسلمين ويقنعونهم بالمحاربة والجهاد بالاحتكام إلى شريعة الاسلام، فبقولها (نصلح شأننا نحن المسلمين) نجدها خرجت عن نطاق الأنا إلى نطاق النحن، وذلك لتُشبِّه نفسها بالمسلمين كي تغيِّر روح الإسلام وتجعلها تختلط بروح الأديان الأخرى، و أن تنزع أصالة الدين وقداسته من وعي الناس _موت مجازي _.

كما يدلّ ضمير (نحن) في قولها السابق _نصلح شأننا نحن المسلمين _ على تشويه الدين وربط أعماله بالتطرف والإرهاب وذلك من خلال انتحالها للديانة الإسلامية كي تجعل ذات زهير مضطربة، كي يقبل بتلك الأفكار الجهادية، وتقضي على وعيه الديني، أما في قولها (نحن نحارب المسلمين فقط..) نجد أنَّ ضمير (نحن) هنا يؤكد لنا على أنّ سلاف تنتمي إلى المنظمات الجهادية، كما يدلّ على تعظيمها لنفسها ولديانتها.وعليه فإنّ التناقض الموجود في شخصية سلاف الذي نلمحه في المثالين السابقين _نحن نحارب المسلمين فقط..، ونصلح شأننا نحن المسلمين _ خير دليل على الانتحال المدمر للدين، إذ أضحى هذا الأخير دينًا مشوهًا ومدنسًا من طرف أياد مست بالسياسة والمجتمع ثم الدين ليفككوا وحدة العرب وينشروا الشر والرذائل، ويحصدوا الكثير من الضحايا التي كاد أن يكون زهير

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 61/60.

[2] المصدر نفسه، ص 59.

من بينها لولا وعيُه الصحيح بالدين والتمسك به في قوله: "فكرة الجهاد لا أساس شرعي لها "[1]. ومنه فإنّ زهير يتمتع بوعي ديني عال.

إذ أراد الكاتب من وراء إحضاره شخصية عبد الله عزام على لسان سلاف تأكيد التشويه والمساس بالدين، أما الكتاب المعنون بـ: أحجار على رقعة الشطرنج، فوظّفه الكاتب كمرجع ودليل للقراء ليكشف لهم عن المنظمات السرية التي تهدف للقضاء على الأنا الدينية بأن تنشر في نفسها الاغتراب الديني والفتن المفككة للعقيدة الإسلامية، وذلك ليغزو الآخر العالم بأكمله.

بعد كل هذه الأفكار والحقائق التي أقرت بها سلاف نيابة عن الآخر، نجدها صدمت زهير وقلّلت من هويته وقضت على دينه وذاته، وجعلته يتذوق مرارة الواقع التي أدت به إلى الفرار من سلاف، ومن هذا العالم المخيف والضيق إلى مكان وعالم ديني مقدَّس يحتوي على السلام والأمان المفقود في هذا البلد الغريب ألا وهو المسجد ودليل ذلك قوله زهير:"تبوح القلوب لبعضها بما عجز عنه اللسان.. تحية السلام والأمان تمتد إلى داخل المسجد.."[2]، فمن هنا ندرك أنَّ الكاتب عمدَ إلى توظيف هذا المكان ليبثّ في نفس زهير الأمن والسلام والحياة من جديد، كما أراد أن يشاركنا الجانب الإيجابي والصحيح الذي يتمتع به الدين، ويؤكد لنا على تمسك زهير بوعيه الديني، فرغم الموت المجازي و التطرف المحيط به إلا أنّه لم يخرج من نطاقه.كما سعى إلى جعل القراء يقارنون بين الجانب الديني الصحيح والجانب الخاطئ الذي يدعو إليه المتطرفون، راغبا في نشر هذا الجانب الإيجابي في أرجاء العالم ليسود الأمان الذي ينعكس بالإيجاب على الوعي الإنساني ويساعد على بناء الذات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والدينية بصورة صحيحة، كي لا ينساق وراء قرارات ومعتقدات الأديان الأخرى، وينتشله من شباك الموت المجازي.إذ رغب أيضا من خلال هذا

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص59.

الجانب الديني _المسجد_؛ في أن يعرّف بعمود الدين والركن الأساس فيه وهي الصلاة، في قول زهير: "يرفع نوزاد صوته مع صوت المؤذن "[1]، وكذلك يقول "تنتهي ركعتا الجمعة"[2]، لذلك لابدّ من التمسك بالدين القيّم والحفاظ عليه، ومحاربة كل المؤامرات التي تهدف إلى تشويهه وتدنيسه.

كما وضّح لنا الكاتب بوعي الإختلافات العقائدية بين الأنا والأخر وذلك من منظور اجتماعي ثقافي يتمثل في قول العم صالح: "لديَّ ثلاثة أبناء...البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سنّ الثامنة عشر، أمّا الولد فسافر مع صديقته إلى ألمانيا منذ سنوات ولا أعلم عنه شيئًا، أما البنت الأخرى فلا معنى لوجودها بالنسبة لي...ليس هذا خطئي.."[3].فهو مقطع يعكس لنا بطريقة غير مباشرة الانحلال الأخلاقي الديني داخل المجتمع الغربي من منظور الأعراف العربية والعقيدة الإسلامية، وفي قوله: (البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سن الثامنة عشر) أراد أن يُفصحَ عن المرض الأوروبي الخطير الذي أصاب الوعي الديني العربي وأدى إلى موته الافتراضي، لكن بالمقابل هو إعلاء للوعي الأوروبي.لأنّ خروج البنت واستقلالها بنفسها في ذلك السن يخالف الأعراف والعادات الدينية الإسلامية العربية، وبالتالي فإنَّ ذلك يمثل بالنسبة للأنا وعيا مقيَّدا بالموت المجازي بسب غياب الأعراف والتقاليد الدينية، أما بالنسبة للآخر فهو يمثلوعيًا وحياة نتيجة لحضور عاداته، وعليه أراد الكاتب _من خلال العم صالح_ أن يجعل القارئ بعامة وزهير بخاصة، يقارن بين عاداته وتقاليده وبين عادات وتقاليد الآخر التي تخالف الأنا، ومنه فإنّ هذه المقارنة تؤكد لنا الانشطار الذي تعاني منه ذاكرة زهير.وهذا الانشطار في حد ذاته موت مجازي.

[1] الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص76.

[3] المصدر نفسه، ص77.

إذن من خلال هذا الجانب الديني، عمد الكاتب إلى إعلاء قيمة الدين بمفهوم إيجابي، وتبيان آثاره الايجابية التي تعمل على بناء مجتمع متماسك، كما أراد أن يقوّي الوعي الديني لدى الفرد عامة ليساعده على بناء ذاته الإنسانية والاجتماعية والنفسية الأخلاقية، وحثّ أفراد المجتمع على تجاوز المؤامرات الاستغلالية والتضليلية التي تسعى إلى تدنيس الدين الإسلامي وتشويهه، وذلك من خلال الارتباط بالله وتطهير أنفسهم بالصلاة. لكي يقضي على الوعي الديني الزائف، باعتبار أنّ الوعي الديني يؤثر على الواقع السياسي والاجتماعي بصورة إيجابية تجعل الأنا تنتصر على الآخر.

خاتمـــــــة

بعد هذه الرحلة العلمية التي تناولنا فيها التوثيق السردي وتجذرات الوعي في "رواية من يستأجر لي وطنا"؟ للطاهر مرابعي، توصّلنا إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في النقاط الآتية:

– إنَّ الكاتب استطاع أن يجمع بين التوثيق والرواية تحت سقف واحد، كي يُجسّد أنموذجا حيا عن مختلف الأوضاع، ويبثَّ أحاسيسه وأفكاره، ورؤيته لصراع الذات والأنوات المتأرجحة بين محطتي الوعي واللاوعي في قالب سردي فني جمالي.

– جاءت رواية من يستأجر لي وطنا؟ لتوثيق الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية الذاتية بطريقة تخييلية جمالية.

– العنوان بوابة للعمل الأدبي ومفتاح لإثارة القارئ المنجذب للنص الروائي بفضل فضوله الذي دفعه لذلك، فيتمكن من إدراك واستيعاب كل ما يتضمنه.

–تسهم مركزية الحدث في ضبط هيكلة الرواية نتيجة كشف الستار عن مسائل الهوية والتوترات الثقافية الحاصلة ضمن المتن الحكائي.

–التأزمات والتراجعات تثير الضغوطات المفروضة على الشخصية مما يعمل على بلورة الحدث الرئيسي في الرواية.

– إنّ رواية من يستأجر لي وطنا؟ جاءت محملة بالشخصيات النموذجية التي جعلها الكاتب تحدد لنا انتماء الرواية من خلال نموذجين متضادين ؛ فالنموذج الأول يتمثّل في شخصية السارد البطل زهير –الأنا –، أما الثاني فيتجسّد في شخصية الآخر المضاد للأنا–سلاف–، وذلك راجع لأدوارهما الكاشفة عن الواقع المتأزم.

– كما أنّ الروائي لم يركّز على المظهر الخارجي لشخصيات متنه الحكائي، لكنّه ركّز بشكل دقيق على المظهر الداخلي، ليبرز طبيعة الأوضاع الواقعية ومشكلة الهوية والوطنية، إذ رغب من خلال ذلك في الحفاظ على جانب الغموض الذي يشدّ القارئ ويجذبه.

– كما تعد شخصية البطل؛ شخصية رئيسية كلّفها الروائي بحمل وجهة نظره المنفِّسة عن ذاته، أما بخصوص الشخصيات الثانوية فنجد أن الكاتب صنّفها على أساس قسري وطوعي؛ فالشخصيات القسرية لها دور فعّال في تحريك الأحداث، أما الطوعية فتساعد في بناء المتن الحكائي.

– رواية من يستأجر لي وطنا؟ اتخذت أبعادًا وأشكالًا أحدثت تلاعبات في الزمن الحكائي الذي اخترق الظاهر وانغمس في دهاليز الباطن.

– كما أنّ الزمن الحكائي في هذه الرواية جاء مُضطربًا نتيجة للمفارقات والإيقاعات الزمنية؛ أي من خلال تقنيتي تسريع وتبطيء الحكي والإسترجاعات والإستباقات، التي أسهمت في سيرورة الأحداث وسدّت جميع الثغرات والفجوات الحكائية، بحيث نجد الروائي سرّع الحكي من خلال الحذف والخلاصة التي كانت قليلة نوعا ما، وبطّأه بالوقفة الوصفية والمشهد الذي من خلالهما أضاف الروائي أي السارد البطل دلالات تكمّل المتن الحكائي.

– يعدّ المكان في رواية من يستأجر لي وطنا؟ حلقة وصل بين الزمان والأناوات والموضوع (الحدث) نظرًا لما يحوزه من خصوصيات وعلائق زادت من عنفوان الدلالة.

– جعل الطاهر مرابعي المكان يتأرجح بين ثنائية الحرية والقيد كتعويض عن الخلجات النفسية والمتوترة التي تشوِّق القارئ للغوص داخل ثنايا الأحداث(النص).

– الزمكان بين التذكر والنسيان من أهم المحطات التي تشتغل عليها الرواية، إذ تحمل في طياتها دلالة على الصراع الداخلي المسيطر على الشخصية، مما يدفع بها للعيش في تضارب بين الماضي والحاضر.

– الأنا والغير بين الوعي واللاوعي تناقش مسألة فلسفية اجتماعية نفسية، مؤثرة بذلك على نظرة الانسان الذاتية وبيئته، ومشكّلة لهوية الفرد ومدى تفاعله مع الآخر.

– تمكّن الروائي من نقل الواقع بصورة فنية جمالية تعكس وعي شخصيات متنه الحكائي، وذلك بطريقة واعية ومقصودة تؤثر في المتلقي.

– استطاع الكاتب أن يوثّق في طيات الرواية ظاهرة الألم؛ أي الآلام الظاهرية والباطنية التي ارتبطت بوعي شخصياته، وجعلهم يعيشون حالة من الانكسارات النفسية، ليبيّن للمتلقي أنّ الإنسان كلما كان واعيًا تألّمَ وتأثر أكثر، وذلك من خلال لوحة ترسم لنا آلام الشخصيات وخلجاتهم الثائرة.

– سلطة الذات المنكسرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب النفسي للشخصيات الروائية، نتيجة الصراعات والعنف والانكسار الذي تعرضت له خلال فترات دائمة من حياتها.

– العنف اللغوي يُعنى بتوظيف اللغة بأسلوب مؤذي فتقر للاحترام بهدف إلحاق ضرر بالآخرين، وبذلك ينعكس هذا التصرف بالسلب على نفسية الشخصيات فيؤثر عليها.

– تكمن جمالية الازدواجية اللغوية في التلاعب اللغوي البارز من خلال استعمال اللغة الفصحى واللهجة العامية بالإضافة إلى اللغات الأجنبية، وهذا مما يساعد المتلقي على استيعاب الرسالة المراد إيصالها.

– تناغم الوعي بالموت المجازي محطة من محطات الرواية التي وثق من خلالها الطاهر مرابعي غياب الوطن /الذات والهوية الضائعة /والآلام النفسية التي انعكست سلبًا على شخصيات الرواية وجعلها تعاني من فقدان اللذة والذات.

– عمِل الطاهر مرابعي على توثيق صورة حقيقية عن الوعي الذي طغى على الواقع الاجتماعي والسياسي وحتى الديني، وجعله يتناغم مع الموت المجازي الافتراضي الذي أضحى شبحًا واجه شخصيات متنه الحكائي من بدايته إلى نهايته.

كانت هذه أهم النتائج الذي خلص إليها البحث، وأرجو أن نكون قد وفقنا في دراسة هذه الرواية كما وثقها لنا الكاتب الطاهر مرابعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. الطاهر مرابعي: من يستأجر لي وطنا؟، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، (د، ط)، 2019 م.

ثانيا: المراجع:

أ- المراجع العربية:

2. إبراهيم صالح الفلاي: إزدواجية اللغة النظرية والتطبيق، (د، د)، الرياض، السعودية، ط1، 1996م/1417هـ.
3. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986م.
4. أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
5. إيهاب النجدي: صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (د، ط)، 2008م.
6. حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
7. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.
8. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرا معاصرة الفترة الأولى 1920/ 1926م، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1984م.
9. زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي: سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998م.

10. سعد محمد الهجرسي، سيد حسب الله: المكتبات والمعلومات والتوثيق (أسس علمية حديثة ومدخل منهجي عربي)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1998م.

11. سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، دار الكتب 2 العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د، ت).

12. صلاح عبد الصبور: أشكال التخييل من فئات الأدب والنقد، دارنوبارللطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1996م.

13. عادل العناز: التمثيل التأويلي للتّاريخ في الرواية العربيَّة، دائرة الثقافية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019م.

14. عثمان عوافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000م.

15. فريديريك زريق: العرب في نظر الغرب، مطبعة ابن زيدون، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1951م.

16. عبد القادر الفاسي الفهري، حوار اللغة" إعداد حافيظ الإسماعيلي العلوي"(سلسلة اليقظة اللسانية)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2007م.

17. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1998م.

18. لطيف زيتوني: معجم المصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

19. محمد صايل حمدان: قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 1991م.

20. محمد عقلة: نظام الأسرة في الإسلام، ج1، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط2، 1989م.

21. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، 1997م.

22.محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1998م.

23. مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، أغسطس1991م.

24.عبد الملك مرتاض: العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى (سلسلة الدراسات الكبرى)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2012 م.

25.نصر محمد عباس: التوثيق الإعلامي، أكاديمية الدراسات العالمية، الأزهر، مصر، ط1، 2004 م.

26. ياسين الحموي: الذاكرة والنسيان (نظريات واستراتيجيات وتطبيقات)، شرك نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2022م

ب- المراجع المترجمة:

27.إليزابيث رودينسكو: اللاوعي (سلسلة الأفكار الكبرى للشباب)، تر: نولة درويش، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1438هـ/2017م.

28. جيرار جينيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وآخرون، مجلس الأعلى للثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1997م.

29.جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.

30.ديفيد لودج: الفن الروائي، تر: ماهر البطبوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.

31.رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1417هـ/ماي1997م.

32.روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2000م.

33.غاستونبوتول، هذه هي الحرب، تر: مروان القنواتي، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،ط1، 1981م.

34.فيرجينيا وولف: القارئ العادي (مقالات في النقد الأدبي)، تر: عقيلة رمضان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1981م.

35.والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، (د.ط)، 1998م.

ثالثا: المجلات والدوريات:

36.مجلة أبحاث نفسية وتربوية، ع3، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، جوان 2018 م.

37.مجلة أبعاد، ع2، جامعة محمد بن أحمد، وهران، الجزائر، 2022م.

38.مجلة الأثر، ع29، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 2019 م.

39.مجلة الآداب، ع10، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 13 جوان 2009م.

40. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع1، جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخموك، تامنغست، الجزائر، 2022م.

41.مجلة آفاق للعلوم، ع9، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، سبتمبر2017م.

42.مجلة أوراق علمية، ع247، مركز سلف الأبحاث والدراسات، السعودية، (د، ت).

43.مجلة البحوث والدراسات، ع12، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2011م.

44.مجلة بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية، ع21، مركز بحوث الشرق الأوسط، مصر، سبتمبر 2023م.

45.مجلة البدايات، ع4، جامعة عمار الثليجي، الأغواط، الجزائر، جوان2021م.

46.مجلة البدر، ع6، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، أكتوبر 2009م.

47.مجلة التراث العلمي العربي، ع2، جامعة بغداد، العراق، 2013م.

48.مجلةالتواصل في اللغات والثقافة والآداب،ع33، جامعةباجي مختار، عنابة، الجزائر، 2013م.

49.مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، ع10، الفيوم، مصر، 2018م.

50.مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع2، 10 مؤسسة مركز الحكمة، الجزائر، 10ماي2022م.
51.مجلة الخطاب، ع2، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، جوان2021م.
52.مجلة دراسات، ع1، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، 01 ماي 2023م.
53.مجلة دراسات معاصرة، ع01، المركز الجامعي، تيسمسيلت، الجزائر، جوان 2022م.
54.مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية"، ع 18، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2016م.
55.مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع75، جامعة ديالى، بعقوبة، العراق، 2018م.
56.مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، ع01،جامعةغرداية، الجزائر، جوان2020م.
57.مجلة عالم الفكر، ع01، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت سبتمبر1999م.
58.مجلة العلوم الإنسانية، ع44، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2016م.
59.مجلة العلوم الإنسانية، (د، ع)،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، (د، ت).
60.مجلة العلوم الإنسانية، ع01، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، الجزائر، 2021م.
61.مجلة العلوم الإنسانيةوالتطبيقية، ع22، جامعة المرقب، ليبيا، مارس 2021م.
62.مجلةعلوم الإنسان والمجتمع، ع01، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1مارس 2022م.
63.مجلة الكلم، ع7، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، ديسمبر 2018م.
64.مجلة كلية الآداب، ع2، جامعة بنها، مصر، 2006م.
65.مجلة كلية الآداب واللغات، ع8، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جانفي2011م.
66.مجلة كلية الآداب، ع2، جامعة الفيوم، مصر، يوليو2021م.
67.مجلة اللغة وآدابها، ع1، جامعةلونيسي علي، البليدة، الجزائر، ديسمبر2017م.
68.مجلة اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2020 م.
69.مجلة المخبر، ع3، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006 م.

70. مجلة المخبر، ع5، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مارس 2009م.
71. مجلة المدونة، ع2، جامعة لونيسي علي، البليدة، الجزائر، 2006م.
72. ملتقى الدولي "الجزائر والأمن في المتوسط "، 30/29أفريل 2008م، جامعة منتوري، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسنطينة.
73. ورقة مرجعية، المؤتمر السنوي التاسع للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 29/28أيار/مايو 2022م.

رابعا: المذكرات والأطروحات:

74. بوعلام صوافي: "محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد"، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف أ.د أحمد مسعود، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بله، وهران، الجزائر، 2015/2014م.
75. حمزة وشان: "صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر"، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشرافعبد القادر توزان،تخصص الدراسات المقارنة في الأدب الجزائري قسم الأدب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2015/2014م.
76. ربيعة بدري: "البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغر"، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الآداب واللغة العربية، إشرافرحيمةشيتر، تخصص السرديات، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014م.
77. شيماء التميمي: "قوة الأنا"،مخطوط مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضية، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق، (د، ت).
78. عبد القادر رحيم: "سيميائية العنوان في شعر مصطفى الغماري"، مخطوط مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف صالح مفقوده، تخصص الأدب الجزائري، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2004 م.

79. فاطمة سعيد أحمد حمدان: "مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة"، مخطوطرسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد والبلاغة، إشرافعبد الحكيم حشان عمر، فرع النقد والبلاغة، قسم الدراساتالعليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربيةالسعودية، 1989م.

80. ندى بنت عطية بن راشد الزهواني، "مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي دراسة نقدية"، مخطوطبحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجيستير في الثقافة الإسلامية، إشراف عبد الله محمد العمرو، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، 1434/ 1435هـ.

سادسا: المواقع الالكترونية:

81. https: //www.alyaseer.net.

82. https: //alarab.co.uk.

83. https: //debajh.wordpress.com.

84. https: //mawdoo3.com.

85. https: //elearn.univ-oran2.dz/.

86. https: //tr.agency/news.

87. https: //www.aljazeera.net.

88. https: //www.islamweb.net.

89. https: //alsabaah.iq

90. https: //www.ef.com.

91. https: //www.un.org/ar.

92. https: //altibbi.comالطبي.

93. https: //www.france24.com.

ملخّص

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى توثيق الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية الذاتية بطريقة سردية جمالية عبر رواية من يستأجر لي وطنا؟ للطاهر مرابعي، ورصد مختلف محطات الأنا والآخر بين الوعي واللاوعي ومعرفة أهم مواقفهما في هذه الرواية.

وقد جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مدخل وفصلين زاوجنا فيهما بين النظري والتطبيقي، كان المدخل يتضمن تأصيل أبرز المفاهيم الأساسية حول الموضوع، ثم تناولنا في الفصل الأول التوثيق السردي في رواية من يستأجر لي وطنا؟، أما الفصل الثاني فخصصناه لتجذرات الوعي في الرواية. وذُيّلت بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: التوثيق السردي، الأنا، الآخر، الوعي، اللاوعي.

Abstract:

This study aims to document social، political، religious and psychological self-phenomena in an aesthetic narrative way through the narrative of who rents me a homeland? **AL TAHIR MARABAI**، monitoring the different stations of ego and the other between consciousness and unconsciousness and knowing their most important positions in this novel.

This study was divided into two practical entrances and chapters، which included the rooting of the most basic concepts on the subject، and then in chapter I we dealt with narrative documentation in the narrative of who rents me home? Chapter II devoted it to the roots of consciousness. It was remarked upon with a conclusion that was the result of the most important findings.

Keywords: narrative documentation, self, other, consciousness, unconsciousness.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان .....

مقدمة.....أ–د

مدخل: تأصيل المفاهيم

أولا: التوثيق:.....6

1. عند الغرب: 7

2. عند العرب: 8

ثانيا: الوعي واللاوعي: 10

1.الوعي:.....10

1.1. عند الغرب:.....11

2.1. عند العرب:.....11

2. اللاوعي:.....12

1.2. عند الغرب:.....13

2.2. عند العرب:.....14

ثالثا: التخييل:.....15

1.عند الغرب: 15

2. عند العرب: 17

الفصل الأول: التوثيق السردي في رواية

من يستأجر لي وطنا؟

أولا: قراءة في العنوان:..... 20

ثانيا: مركزية الحدث والأناوات الفاعلة:..... 23

1. مركزية الحدث:..... 23

1.1. التأزمات:..... 23

2.1. التراجعات:..... 29

2. الأناوات الفاعلة:..... 36

1.2. الأنا الرئيسية:..... 37

- زهير:..... 37

2.2. الأناوات الثانوية:..... 40

1.2.2. الأناوات القسرية:..... 41

- سلاف:..... 41

- العم صالح:..... 43

2.2.2. الأناوات الطوعية:..... 44

- يوري:..... 45

- نوزاد:..... 45

- محمد:..... 46

- مرجان:..... 46

- عباس:..... 47

- أحمد وطيب:..... 47
ثالثا: تشكلات الزمكان في الذاكرة المنشطرة:..... 48
1. المفارقات والإيقاع الزمني (الزمان):..... 48
1.1. المفارقات الزمنية:..... 49
1.1.1. الاسترجاع:..... 49
2.1.1. الاستباقات:..... 51
2.1. الإيقاع الزمني:..... 52
1.2.1. تسريع الحكي:..... 53
- الحذف (القطع):..... 53
-الحذف الصريح:..... 53
-الحذف المحدد:..... 53
-الحذف غير المحدد:..... 55
-الخلاصة:..... 56
-الخلاصة المحددة:..... 56
2.2.1. تبطيء الحكي:..... 57
-الوقفة:..... 58
-المشهد:..... 60
2. المكان بين الحرية والقيد:..... 63
1.2. الأماكن الإجبارية:..... 63
- الوطن (سطيف):..... 64

- قبرص (نيقوسيا):..... 65
- المطار:..... 66
- سوريا:..... 66
2.2. الأماكن الاختيارية:..... 67
- المطعم:..... 67
- مكتب سلاف:..... 68
- الغرفة:..... 69
- الشارع:..... 69
- الحديقة:..... 70
- المسجد:..... 70
- أوكرانيا:..... 71
3. الزمكان بين التذكر والنسيان:..... 71
1.3. موضع الزمكان والنسيان:..... 72
2.3. موضع الزمكان والتذكر:..... 75

الفصل الثاني: تجذرات الوعي في رواية

من يستأجر لي وطنا؟

أولا: تشكلات الوعي وتمويهات اللاوعي:..... 79
1. الأنا والغير بين الوعي واللاوعي:..... 79
1.1. الأنا بين الوعي واللاوعي:..... 80
-الأنا ونوستالجيا الزمكان:..... 81

-الأنا المنجذبة للآخر:..... 83
-الذات الإيجابية والواقع المرير:..... 85
-الأنا البائسة:..... 87
2.1. الغير بين الوعي واللاوعي:..... 89
-العرب من منظور الغير:..... 89
-الغير المساعد:..... 90
2.اتصال الوعي بالألم..... 92
1.2. الوعي بالألم المظهر:..... 93
2.2. الوعي بالألم المضمر:..... 97
ثانيا: سلطة الذات المنكسرة:..... 100
1. العنف اللغوي:..... 101
-الحرب:..... 102
-التفكك الأسري:..... 110
-الهجرة غير الشرعية:..... 114
-الإسلاموفوبيا:..... 116
2. الازدواجية اللغوية:..... 119
ثالثا: تناغم الوعي بالموت المجازي..... 129
1. الوعي السياسي:..... 129
2. الوعي الاجتماعي:..... 132
3. الوعي الديني:..... 135

خاتمـــــة..... 141
قائمة المصادر والمراجع..... 145
ملخّص 154
فهرس المحتويات:..... 156